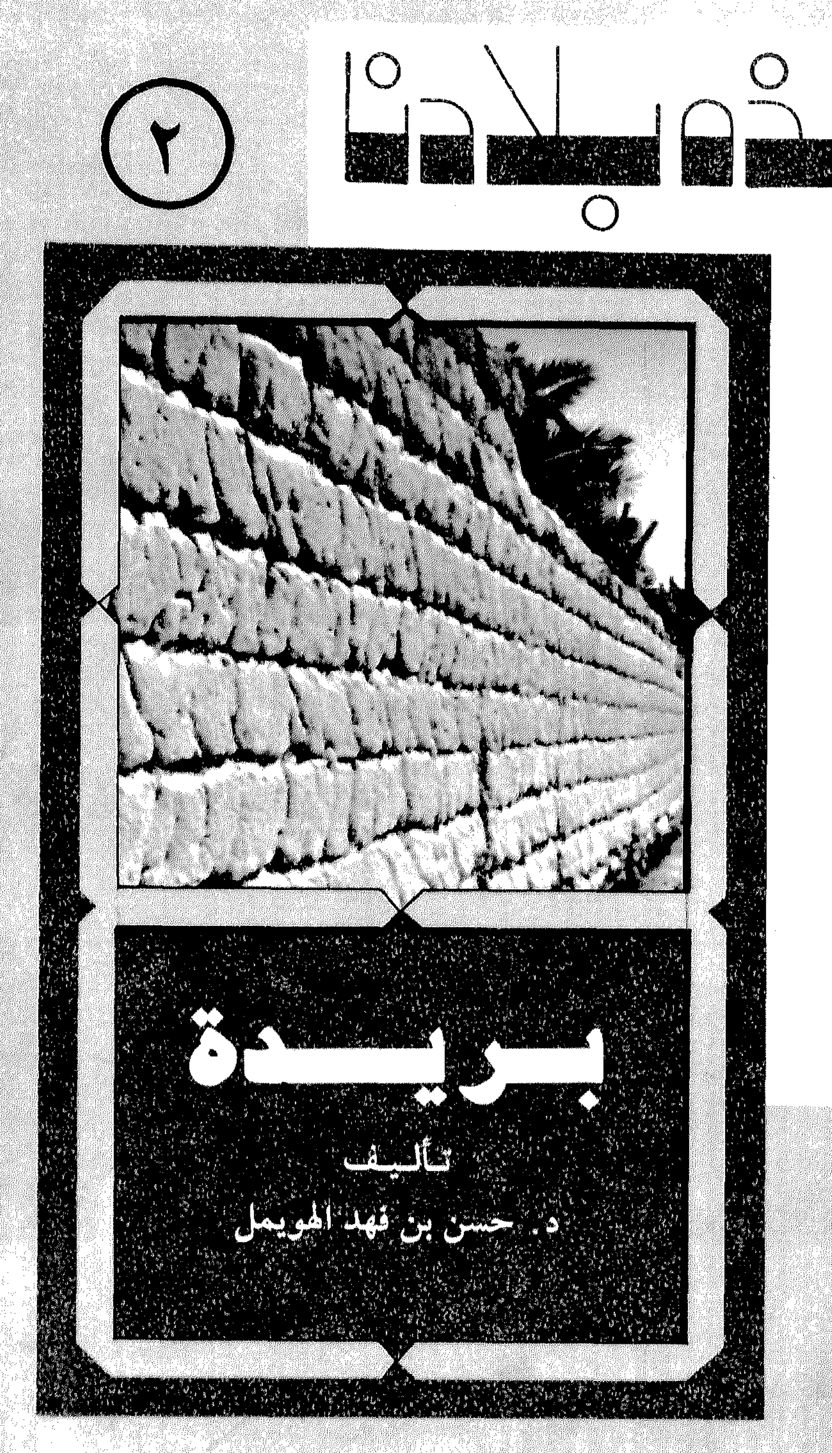
هذه بلادنا

(٢)



بريدة

تأليف

د. حسن بن فهد الهويمل

الرئاسة العامة لرعاية الشباب

هذه بلادنا

(٢)

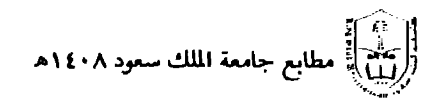
بريدة

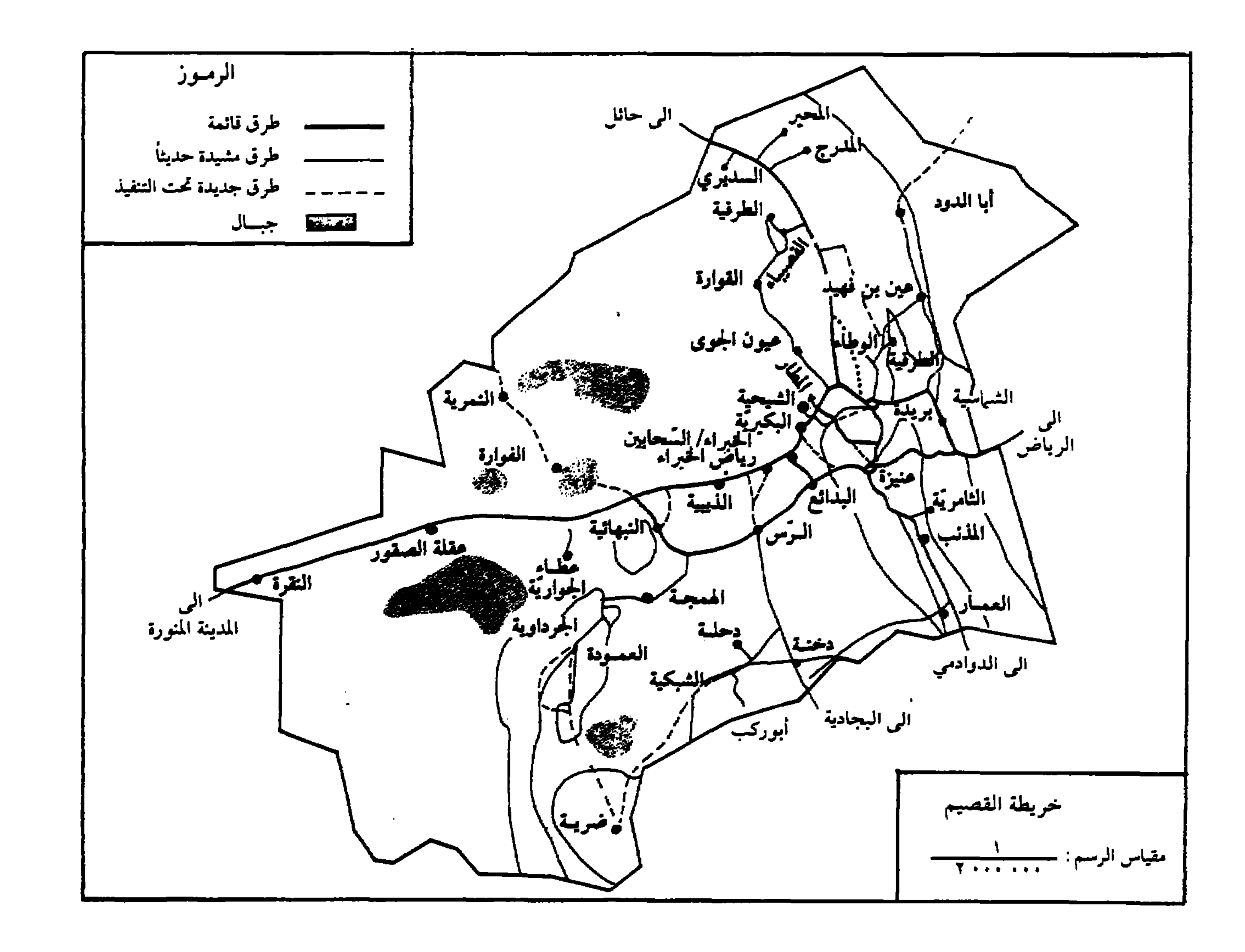
تأليف
الدكتور حسن بن فهد الهويمل

الطبعة الثانية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب

الادارة العامة للنشاطات الثقافية
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

● بريـدة

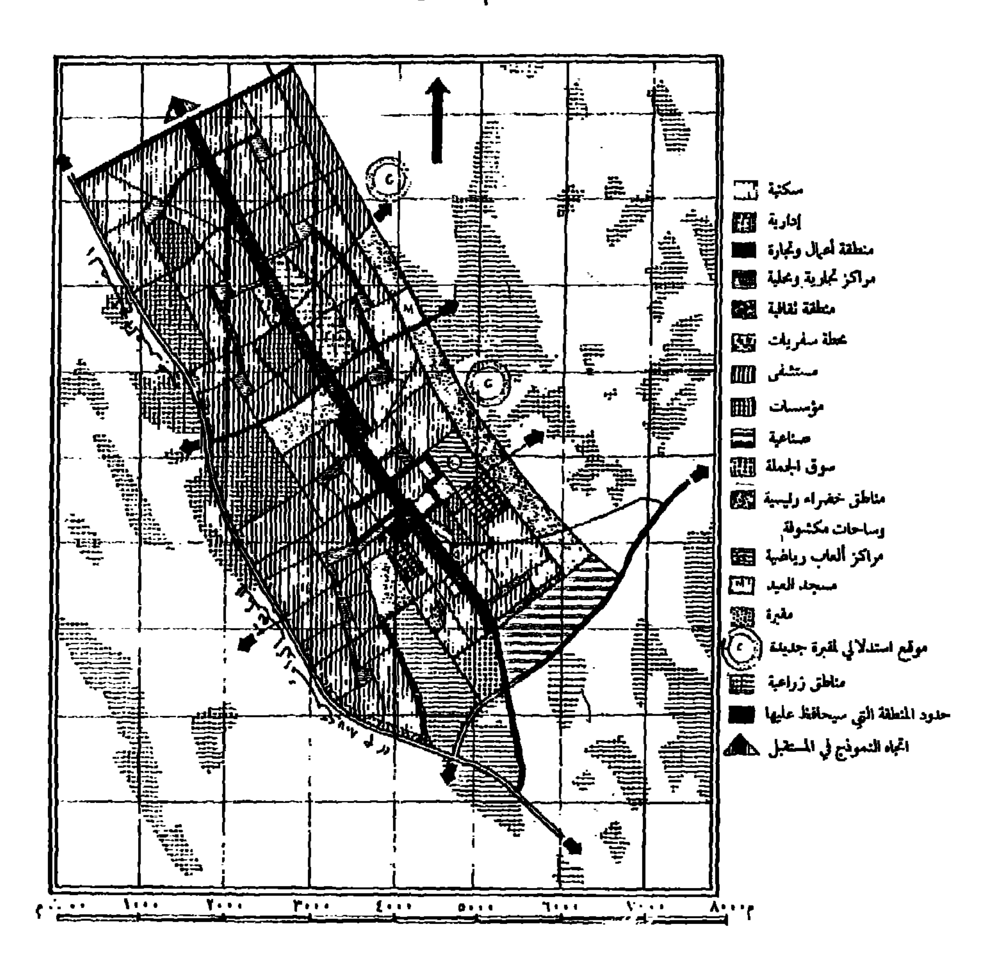

مطابع جامعة الملك سعود ١٤٠٨هـ


الرموز
طرق قائمة
طرق مشيدة حديثاً
طرق جديدة تحت التنفيذ
جبال
الى حائل
المحير
المدرج
السديري
الطرفية
أبا الدود
القوارة
عين بن فهيد
عيون الجوى
الوطاة
الطرفية
الشيحية
البكيرية
بريدة
الشماسية
الى الرياض
الخبراء/ السحابين
رياض الخبراء
عنيزة
النمرية
القوارة
المذنب
الذيبية
البدائع
الشامية
النبهانية
الرس
عقلة الصقور
عطاء
الجوارية
النقرة
الى المدينة المنورة
المسجة
العمار
الجرداوية
دحلة
دخنة
الى الدوادمي
العمودة
الشبكية
أبوركب
الى البجادية
ضرية
خريطة القصيم
مقياس الرسم : ١ / ٢٠٠٠٠٠٠

المخطط الرئيسي النهائي

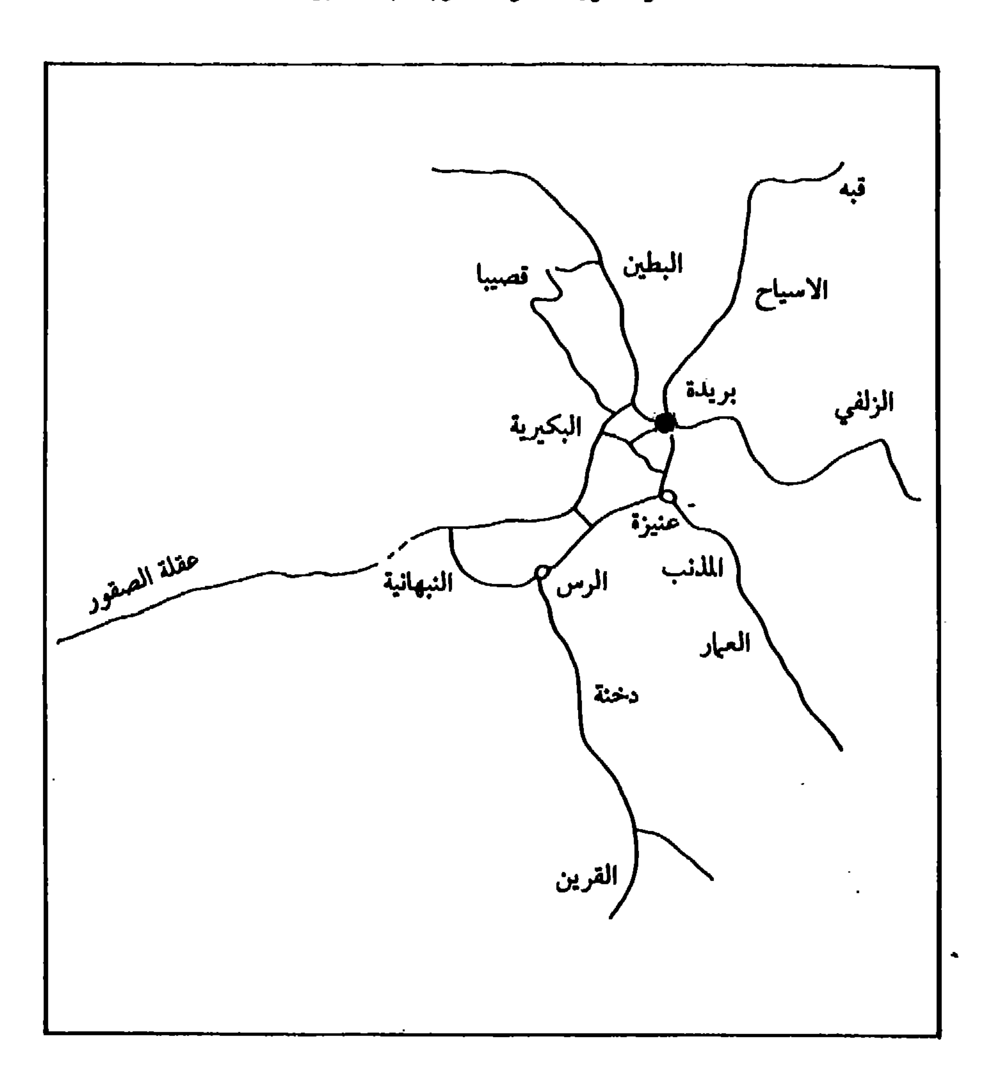
لبريدة عام ١٩٩٣ (١٤١٣هـ)

وصور استخدام الأرض فيه



المصدر: «بريدة» للربدي

الطرق الرئيسية المزفلتة المرتبطة بمدينة بريدة



بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني أن أقدم باكورة الإنتاج في سلسلة كتب (هذه بلادنا) التي تهدف الرئاسة من ورائها إلى إمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية التي تبرز تاريخ الـوطن في سلسلة من الكتب العلمية المبسـطة وتعمـل على تسجيل الـتراث الفكـري والفني والعـادات والتقاليد في المملكة. . . هذا بالإضافة إلى كونها تجميعا لنشاط المحاضرات الذي تقوم بتنفيذه الإدارة العامة للنشاطات الثقافية .

ولعلنـا بهذا العمـل نسهم في تشجيع البحث والبـاحثين لربط الماضي بالحاضر وتسجيل ما طرأ عليه من معطيات العصر الحديث لتكون نبراسا هاديا لشباب الغد وتقديم ما يساعدهم على معرفة الحقائق ويجعلهم يفخرون بها قدمه السلف وإتاحة الفرصة لهم لصنع مستقبل بلادهم . . .

ومن حسن حظ الباحث في هذه الأيام وفرة المراجع والمعاجم التي تساعده على تلمس الـطريق وتـوفـر له الـوقت وتسهل له مهمة البحث ليصل إلى ما يريد . . . وذلك بعكس ما كان عليه الحال في الأجيال القريبة الماضية حيث كان المؤرخون يجوبون البلاد من مشرقها إلى مغربها في سبيل الحصول على أية معلومة عن تاريخ بلادهم ، وكثيرا ما كانوا يأخذون الحقائق من أفواه الشعراء وآثارهم وذلك لندرة المصادر المباشرة التي تتحدث عن أي بلد من البلدان أو موقع من المواقع . . .

وإنه من الأفضل لأي أمة من الأمـم أن تكتب تاريخها بنفسها عن طريق أبنائها المخلصين الذين أتيحت لهم فرصة التعلم والوصول إلى أرقى الدرجات

العلمية وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب والبحث والتنقيب في المعاجم والاستفسار والتمحيص بالإتصال بالمعمرين من أبناء هذه البلاد وبذلك نستطيع الكتابة عن أي جزء من أجزاء الوطن بصورة مبسطة ومباشرة تساعد الأجيال القادمة على التعرف على تاريخ أمتهم دون تعب أو عناء . . .

وإنني أتمنى لهذه السلسلة النمو والإزدهار . . وللإدارة العامة للنشاطات الثقافية التي تقوم بإصدارها التوفيق والنجاح . ، ، ،

الرئيس العام لرعاية الشباب
فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

هذه السلسلة هي مجموعة من الكتب ليس المقصود منها مجرد النشر فقط، ولكنها جاءت إمتدادا طبيعيا لنشاط الإدارة العامة للنشاطات الثقافية في مجال المحاضرات . . . فقد عملت الإدارة على تنويع برامج المحاضرات، واختارت من الموضوعات الشيقة ما يهم كافة المواطنين، وليس هناك من شك في أن كل إنسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها ويهمه أن يتبين تاريخها . . . فإن كان صغيرا يهمه أن يعرف أمجاد بلاده وتاريخ أسلافه، وإن كان كبيرا فإن حديث الذكريات يشجيه ويذكره بأفراحه وأتراحه ومراتع صباه، ومن هنا كان اختيار تاريخ البلاد موضوعا لتلك المحاضرات التي سيتم تجميعها في سلسلة من الكتب إن شاء الله.

وسوف يحتوي كل كتاب من هذه السلسلة على بحث قام بإعداده أحد المتخصصين يتحدث فيه عن تاريخ بلدة أو إقليم من بلدان وطننا الحبيب وعن أهمية تلك البلدة وتقاليدها التراثية وعاداتها وأنواع الفنون بها وملامح النهضة العمرانية والزراعية وأوجه الحياة فيها وذلك بعد الرجوع إلى المراجع التي تحدثت عن الموضوع والإلتقاء بأهل البلدة من المعمرين والشيوخ في سلسلة من المحاضرات والندوات ودارت حولها المناقشات ثم تأتي مرحلة تجميع هذا البحث على ضوء المناقشات ويتم عرضه قبل طباعته على بعض ذوي الإختصاص من مؤلفي المعاجم لمراجعته وإجازته.

وتهدف الإدارة من وراء ذلك إلى تطوير برامج المحاضرات وتشجيع ملكة البحث والتأليف وإمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية وإبراز تاريخ المملكة

في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة تسجل التراث الفكري والفني في أرجاء الوطن.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الادارة العامة للنشاطات الثقافية

تقديم

حمدا لله وشكرا وصلاة وسلاما على نبيه ورسوله محمد بن عبدالله وآله وصحبه. أما بعد: فقد اطلعت على هذا الكتاب الذي ألفه الأديب الحصيف الدكتور حسن بن فهد الهويمل رئيس النادي الأدبي في بريدة عن مدينة بريدة فألفيته كتابا قيما توخى فيه الكاتب الكريم السهولة والفائدة، فهو كتاب غني بالمعلومات ومع ذلك فهو سلس العبارة سهل الفهم. مما يجعله مفيدا للقارىء المثقف ثقافة عالية وهو في الوقت نفسه مفيد كذلك لمن يبحث عن المعلومات العامة عن مدينة من المدن المهمة في المملكة العربية السعودية الحبيبة.

ولقد حمدت للمؤلف وهو من أبناء بريدة أن يكون كتابه بعيدا عن المبالغات وإظهار نواح من البحث لا يحمل بعض المؤلفين على إظهارها إلا عاطفتهم نحو البلاد التي أنجبتهم فالعاطفة الوطنية الصادقة ينبغي أن تحفز الكاتب على أن يمحص المعلومات وأن يقدمها للقارىء مدعمة بالوقائع والشواهد ومن أهم ذلك بيان المراجع في البحث وهذا هو ما فعله المؤلف الكريم.

أما أن تكون عاطفة الكاتب نحو بلد ما سببا في تجنبه طريق البحث العلمي الخالص أو تليين الحقائق إن لم يكن تطويعها إلى ما يريد أن يقوله عن بلدته فذلك أمر إلى كونه لا ينبغي للباحث المنصف فإنه يكون سببا من أسباب عدم الوثوق بما جاء في كتابه.

إن هذا الكتاب حلقة ذهبية في سلسلة من الكتب المبسطة التي قامت الإدارة العامة للنشاطات الثقافية في الرئاسة العامة لرعاية الشباب على إعدادها وكلفت بذلك عددا من الأدباء والمفكرين مستهدفة تغطية مدن المملكة وبلدانها الرئيسية بكتب مبسطة نافعة.

فاستحقت بذلك الشكر من القراء وأن يقابلوا إنفاذ هذه الخطة المهمة بما تستحقه من عناية ورعاية تتمثل في حسن الاستقبال لهذه الكتب وفي النقد الهادف البناء لما قد يوجد فيها مما يستحق النقد أو التنبيه شأن الكتب التي تكون من هذا النوع المهم.

أما المؤلف الكريم الدكتور حسن بن فهد الهويمل فإنه يستحق الشكر من القراء عامة ومن أبناء بريدة خاصة والله الموفق،،

محمد بن ناصر العبودي

مقدمة الطبعة الأولى

ليس لي من كلمة تقال وأنا أقدم هذه القصاصات على عجل لتسد حاجة وطنية سبقت إليها الرئاسة العامة لرعاية الشباب وهي أبدا سباقة إلى كل جديد.

ولما كانت العادة أن يكون هناك مقدمة بين يدي الكتاب كان لزاما عليّ أن أقول شيئا ما.

والكلام عندنا نحن الشرقيين لا يعوز، وخيره ما قل وأصاب المحز.

في مستهـل حديثي أود أن أشكر الرئاسة العامة لرعاية الشباب ممثلة برئيسها الشهم سمو الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز على فضيلتين:

الأولى: مبادرتها لمثل هذا العمل الوطني الفعال، وسعيها لتمكين كل مواطن من معرفة أجزاء من مملكته الشاسعة معرفة شاملة متكاملة من خلال إصداراتها الجديدة تحت عنوان «هذه بلادنا» وهذا عمل زاخر بالعطاء.

والثانية: تفضلها بتكليفي مع من كلفت من أدباء وعلماء المملكة للإسهام في هذا المشروع الوطني الهادف.

وإن كانت لي أمنية فإنها تنحصر في أن أوفق لتقديم عمل أقرب إلى السلامة والصواب. وأن أوفق إلى نَقَدَة منصفين تكتمل فيهم عدة الناقد ودرْبته. لينقلوا هذا العمل من الحسن إلى الأحسن، ويضعوا يد الكاتب على الخطأ دون عنف، أو تحامل. ودن مجاملة، أو مداجاة. والخطأ ابتداء يعد صوابا. والعدول عنه فضيلة والإصرار عليه خطيئة.

وبعد:

قد يلتمس القارىء مني تحديد منهجي في هذا الكتاب ليأخذ طريقه إليه عبر مسارات واضحة، وذلك ـ بلا شك ـ من حقه.

الكتـاب عبارة عن محاضرة ألقيت بطلب من الرئاسة العامة لرعاية الشباب، وكان عليّ وأنا أعد هذه المحاضرة أن أتوسع في بعض الجوانب ذات الأهمية لتخرج هذه المحاضرة على شكل كتيب، يتحدث عن الجوانب المهمة في مدينة «بريدة».

لقد أدركت وأنا أسعى حثيثا في لـملمة جزيئات هذه المحاضرة أن أشياء كثيرة غفل عنها الأدباء، وهم محاسبون على هذه الغفلة. وأدركت أن ما تلاقيه بريدة من جفاء أبنائها القادرين تلاقيه كل مدينة في المملكة. وأدركت أن مبادرة الرئاسة العامة لرعاية الشباب بداية خير يتخلص بها القادرون من ديمومة هذا المطال.

وأدركت ـ بعد هذا كله ـ أن ما قلته في هذه الضميمة شيء قليل لا يعدو حجم العناوين، وكم أتمنى لو أسعفني الوقت، والجهد معا لأعيد النظر في هذه المحاضرة لتكون كتابا شاملا يسد حاجة القارىء والمواطن في آن.

وفي الختام أحب أن أثني على جهود مباركة وموفقة بذلها الشيخ محمد بن ناصر العبودي في كتابه القيم «معجم بلاد القصيم» لقد ظفر بالريادة. وما على القادرين إلا أن يقتفوا أثره، ليقضوا حق بلدهم عليهم، وهي دعوة لكل القادرين في أرجاء وطننا الكبير.

والكلمة الملحة التي أتقدم بها إلى كل قارىء لهذا الكتاب ألا يكتفي بالثناء، أو السكوت أو النقد المعمم.

الذي أريده، أن يقدم لي بعض ما يريد إضافته أو حذفه ليكون عمله مسهما في إخراج المشروع مستقبلا على وجه أقرب إلى الصحة والسلامة.

وفق الله الجميع إلى الخير والله المستعان.

د. حسن بن فهد الهويمل

مقدمة الطبعة الثانية

بعد حمد الله وشكره والصلاة على صفوة خلقه،

أود أولا أن أشكر القائمين على أمر هذا المشروع الوطني، وأن أبارك لهم خطواتهم الموفقة.

لقد زامنت وزاملت هذا المشروع منذ البدء وأحسست منذ الخطوة الأولى أن القائمين عليه جادون وصادقون. وهذا سر نجاحه، وإقبال الناس عليه وارتياحهم لإنجازاته، وسعيهم وراء إصداراته، الأمر الذي شد الأزر، وقوى العزيمة، وجعل الرئاسة العامة لرعاية الشباب تبادر وتعيد طباعة الإصدارات لتسد حاجة المواطن.

وأود ثانيا أن أشير إلى الجهد الذي بذلته في تنقيح وزيادة الطبعة الثانية من هذا الإصدار. وأن ألمح إلى جهود موفقة جاءت من قبل ومن بعد فأسهمت في تأصيل المعلومات المتعلقة بمدينة بريدة وتنقيحها وجمع شتاتها جهود فردية تطوعية . . . وأخرى دراسية.

أما ما قمت به من إضافات فقد حرصت على طرافتها وموضوعيتها، واجتهدت في أن تكون تلك الإضافات مُسهمة في شمول الدراسة وعمقها وسلامتها وابتعدت عن التوسع الإنشائي والتزيد العاطفي وحرصت على سلامة المادة من الخطأ والمبالغة.

أقول قولي هذا وأنا متأكد من وجود نقص يطلب الإكمال . . . ووجود خطأ يستدعي التصحيح. والنقص والخطأ المتوقع من مستلزمات العمل الإنساني فكل عمل معرض للخطأ ابتداء. وعلى القارىء الجاد الصادق أن ينبه إلى ذلك لتلافيه.

أما عن الذين كتبوا عن القصيم بعامة وعن بريدة على وجه الخصوص فقد فعلوا خيرا وبذلوا جهدا وواجبنا شكرهم على كل حال، ولا غضاضة حين يعتريهم ما يعتري أي عمل بشري من هفوات.

وما نتطلع إليه ـ من أولئك ومن غيرهم ـ أمانة النقل والإحالة إلى المصدر، وعدم التعدي على جهد الآخرين ومصادرته وإدعائه، وإذا سُبق اللاحق إلى عمل جيد

واضطر إلى الإنتفاع به جملة أو جزءا فإن عليه أن يذكر للسابق سبقه وإن لم يفعل فما أدى الأمانة .

ومن جهة أخرى فإن على الذين يودون الكتابة عن ديارهم تجنب التكرار وإعادة القول في حين تقوم جوانب مهمة لم يتطرق إليها السابقون . وإذ لم أنص على شيء من تلك الإسهامات فلأن أصحابها يعرفون من أمر كتبهم ما نعرف، ويدركون حجم جهدهم وأهميته .

لقد حاولت في إضافاتي أخذ الملاحظات التي تكرم بها الزملاء والنقاد في الاعتبار كما حاولت سد الحاجة القائمة في أنفس المواطنين الذين يودون لمثل هذا العمل أن يكون على مستوى تطلع الرئاسة العامة لرعاية الشباب التي تتحمل جهدا وإنفاقا سخيين على هذا المشروع الموفق وما ذلك الجهد والإنفاق إلا من أجل إرضاء كل الأذواق والاستجابة لكل التطلعات ، وسد حاجة المواطنين الذين يحبون أرضهم وديارهم في إطار حبهم الكبير لوطنهم الأكبر.

وفق الله الجميع وسدد الخطى وأخذ بنواصينا إلى ما يحب ويرضى إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د/ حسن بن فهد الهويمل

القصـيم
تاريخه.. واثاره.. وجغرافيته

الذي يتحدث عن مدينة «بريدة» لابد له من الإلمامة العجلى عن «القصيم». فبريدة واحدة من مدنه بل هي قاعدته الإدارية، والتجارية، والزراعية وملتقى الخطوط البرية والجوية.

والقصيم: قديم في استيطانه وعمرانه. ورد ذكره في الشعر العربي على مختلف العصـور. ذكـرت موارده، ومسـالكـه، ومـدنه وقراه. وعرض الشعراء في الجاهلية والإسلام لغاره ونجده، لواديه وحزنه. وتحدثوا معجبين أو والهين لشجره، ونسيمه، فكان هذا الشعر مصدرا موثوقا من أهم مصادر الجغرافيين. ومن ذلك الشعر تكونت مواد كتبهم. وقامت منه شواهدهم. يختلفون فلا يحسم الخلاف إلا بيت شعر عارض في ثنايا قصيدة. ولعلنا نستحضر القيمة التاريخية والجغرافية للشعر الجاهلي. حين عفت الديار، وامّحت الرسوم وانفلت من الذاكرة ما كان يحضرها في القديم. فكان الشعر ولا يزال ديوان العـرب ووعـاء أمجادهم وسجل أحداثهم وحروبهم، وكنف ذكرياتهم في أفراحهم وأتراحهم، فزع إليه علماؤنا ينشدون في ثناياه ضالتهم ويسجلون من دلالاته تاريخ أمة وأمجادها(١).

ومن ذا الذي ينكر ما للقصيم من أمجاد في الجاهلية والإسلام على مر العصور حتى يومنا هذا. إنه البلد الطيب في أرضه وأهله.

١) كالقريتين، والجواء، والجنوب، والظّليم.

لمحة تاريخية

جاء في لسان العرب ص ١٥/٣٨٦ «القصيمة: ما سهل من الأرض، وكثر شجره. والقصيمة منبت الغضى والأرطى والسلم وهي رملة. قال لبيد:

وكتيبة الأحلاف قد لاقيتهم ... حيث استفاض دكادك وقصيم

ثم قال:

قال الليث: «القصيمة من الرمل ما أنبت الغضى» وهي القصائم.

وقال: وقال أبوعبيد: «القصائم من الرمال ما أنبت الغضاة».

وقال: قال أبومنصور ـ وهو يتعقب قول الليث: «وقول الليث في القصيمة ما ينبت الغضى هو الصواب».

ثم قال: «والقصيم موضع معروف يشقه طريق بطن فَلْج».

والقصيمة من الغضى «الجزء».

قال أبوحنيفة: «القصيم بغير هاء أجمة الغضى. وجمعها قصائم، وقصم».

والقصيمة الغيضة، والقيصوم ما طال من العشب، والقيصوم من نبات السهل.

وقال: «القيصوم، من الذكور ومن الأمرار وهو طيب الرائحة من رياض البر»[1].

---

١) راجع لسان العرب لابن منظور. ص ٣٨٨ المجلد الخامس والسادس عشر.

وقال العلامة العبودي: «فاشتقاق كلمة «القصيم» إذن من الشجر الملتف الناشىء عن الخصب وكثرة المياه. وذلك ما امتاز به القصيم في القديم والحديث»[1].

وفي تاج العروس: «والقصيمة ـ كسفينة ـ رملة تنبت الغضى. كما في الصحاح. زاد غيره والأرطى والسلم. أو أجمة الغضى أو جماعة الغضى المتقارب يقال قصيمة من غضى وأيكة من أثل»[2].

قال: والقصيم ـ كأمير ـ بين اليمامة والبصرة لبني ضبه، وقيل بين رامة ومطلع الشمس هما من بلاد تميم. ورامه وراء القريتين في حق أبان بن دارم.

قلت: وقد وهّم العلامة العبودي هذا القول[3].

وقيل: يشقه طريق بطن فلج «نقله عن التهذيب. وقد رجح العلامة العبودي أن يكون بطن فلج هو الباطن وهو جزء من مجرى وادي الرمة، بعد أن يتجاوز الوادي محاذاة مدينتي «بريدة» و«عنيزة» مشرقا.

والقصيم في أشعار المتقدمين مشهور بالذئاب، ولعل ذلك لكثرة الأشجار والموانع. فقد ورد ذكر «سرحان القصيم» في شعر بشر بن أبي حازم الأسدي. وشعر أفيف الضبي، وكعب بن زهير، وشعر سحيم عبد بني الحسحاس، وفي شعر المعقر البارقي. وكثرة ذكره ينبيء عن كثرته من جهة وقوته من جهة أخرى.

وكثرة ذكر القصيم وما فيه من أودية ومواطن وسباع، دليل على ما يتوفر فيه من متطلبات الإنسان ومحصل ذكره أنه كثير الغضى كثير الشجر خصب الأرض طيب النبت، يرتاده الشعراء مع قوافل ذويهم في غدوهم وروحهم فيمر ذكره على أسلات ألسنتهم.

١) معجم بلاد القصيم ١/٢٩ وقد استوفى الأقوال المهمة في هذا المجال.

٢) تاج العروس ص ٣٩ المجلد التاسع.

٣) معجم بلاد القصيم ٣٣، ١/٣٤.

وقـد يختلف بعض المؤرخين، والجغرافيين مع بعض أصحاب المدونات والموسوعات في تحديد بعض المواقع لعلم البعض بمساكن القبائل ولتعدد الأسماء وائتلافها واختلافها، وهذا وإن كان من الأهمية بمكان لا يقع في نطاق اهتماماتنا الآنية.

وما كتبه العلامة العبودي في معجمه النادر وما كتبه ويكتبه علّامة الجزيرة حمد الجاسر من مستدركات وتعقيبات على المتقدمين والمتأخرين كل ذلك يحصر التباين في نطاق ضيق. فالجاسر فرغ لهذه المهمة وأعد لها فكرًا نيِّرًا لمّاحًا وسعة اطلاع ودأب ورحلة متواصلة في فجاج الأرض وبطون الكتب. وندب لذلك علماء أشداء أفاضوا فيما كتبوه واستقصوا لما دونوه.

الموقع

يقع القصيم في قلب جزيرة العرب، ويميل قليلا إلى الشمال. ويدعم هذا ما كان يحتفظ به في السابق من مكانة في طرق الحج القديم، والتي رسم معالمها إبان فترة حكم الدولة العباسية، وعلى عهد الخليفة العباسي «هارون الرشيد». وزوجته التي نسب إليها مشروع هذه الطرق [درب زبيدة]. فطرق البصرة، والكوفة، وبغداد، كلها تجتاز منطقة القصيم، بل يلتقي أكثرها على موارد مياهه، ولا يزال القصيم يحتفظ بآثار هذه المعالم. مثل إقامة بعض الإستحكامات والبرك المائية والقصور خاصة في الأسياح «النباج» وعلى امتداد ضفتي وادي الرمة[1]. والتاريخ يعيد نفسه فالقصيم اليوم يعتبر حلقة مواصلات فالناظر في الطرق المعبدة يدرك ذلك[2].

الحدود: كما جاءت في معجم القصيم نقلا عن المستر لوريمر

من جهة الشمال والشمال الغربي حدود ولاية جبل شمر التي تسير بين قرية «كهفة» التابعة لشمر في جانب، وقرى القوارة والقصيبا التابعة للقصيم من الجانب

١) عندما جرفت الرمال الزاحفة مجرى وادي الرمة غرب بلدة الربيعة كشفت السيول عن آثار إسلامية كالسدود والبرك التي مادتها الحجارة والجص. وقد وقفت عليها برفقة الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري. والأستاذ صالح بن سليمان الوشمي وهي آثار واضحة تدل على طرق الحاج وأماكن سكنهم وتسمى «البريكة».

٢) لمحات عن منطقة القصيم ص ٤ للمؤلف وآخرين.

الآخر، وتلتقي حدود القصيم مع منطقة السر وهي جنوب نجد أما من جهة الجنوب الشرقي فيفصلها عن منطقة الوشم صحراء تشمل وادي السر ومن جهة الجنوب والغرب فإن القصيم تنتهي بإقليم صخري أو بركاني بعد الرس بقليل[1]. أما تحديده كما جاء في صحيح الأخبار للمرحوم محمد بن عبدالله بن بليهد [ت١٣٧٧هـ] فمن الجنوب المذنب ومن الشمال القوارة، ومن الشرق الأسياح، ولم يحدد جهة الغرب.

تكوين القصيم الجغرافي

جهة الشمال سهول ورياض فسيحة، وفي الغرب والشمال الغربي جبال وأودية، وفي الجنوب كذلك أما وسطه فتحتله كثبان رملية ذهبية التكوين، تلف في أعطافها واحات النخيل، ويشقه في الوسط أودية كبيرة وقديمة التكوين، ومشهورة في التاريخ كوادي الرمة أطول واد في جزيرة العرب ينحدر من مرتفعات الحجاز ويصب قديما في شط العرب عند البصرة من العراق إلا أنه ومنذ القدم طمرت رمال الثويرات المتحركة من مجراه حوالي مائة ميل وأصبح ينتهي في منطقة القصيم.

وقد أقامت الدولة على بطنه عدة جسور وكباري لربط الخطوط المعبدة بين مدن وقرى ومزارع القصيم كالجسر المقام بين مدينتي بريدة وعنيزة وجسري الخبراء والنبهانية، ومن الأودية أيضا وادي الترمس، والفويلق وقد أقامت الدولة سد الأسياح على أنقاض سد قديم يظهر أنه من عمل العباسيين[2].

مساحة وسكان القصيم

تبلغ مساحات القصيم التقريبية ثمانين ألف كيلومتر مربع، ويقرب عدد سكانه من المليون، يعملون بالتجارة والزراعة والرعي والصناعة، يتوزعون في أكثر من أربعمائة مدينة وقرية وهجرة، ومن أهم مدن القصيم:

- بريدة: وهي العاصمة، والقاعدة الإدارية، وفيها مقر إمارة القصيم والإدارات الإقليمية.

١) معجم بلاد القصيم ص ٦٨، ١/٦٩ مع الأخذ بتعديلات المؤلف في الهامش.
٢) لمحات عن منطقة القصيم ص ٥.

- عنيزة: المدينة الثانية من حيث السكان والاتساع والزراعة.
- الرس: المدينة الثالثة من حيث السكان والاتساع والحركة والتجارية وخاصة فيما يتعلق بالبادية.
- البكيرية، والمذنب، والخبراء، ورياض الخبراء، والأسياح، والجواء وهي مدن كبيرة وآهلة بالسكان إلا أنها ليست في مستوى المدن الرئيسية الثلاث.

ويتبع إمارة منطقة القصيم من المدن والقرى والهجر والمزارع والموارد ما يقرب من خمسمائة مدينة وقرية وهجرة ومورد منها متنا وحدة فيها خدمات عامة.

مناخ القصيم

المناخ عموما لا يختلف عن مناخ وسط الجزيرة العربية «بارد ممطر شتاء» «حار صيفا» إلا أن منطقة القصيم في الآونة الأخيرة كثرت فيها المياه الجوفية المتدفقة وتعددت البساتين المحيطة بها والمزارع الممتدة في أطرافها مما كان له أكبر الأثر في لطافة الجو في فصل الصيف وخاصة في الليل. هذا ويبلغ ارتفاع مواقع أكثر مدن القصيم ٦٠٠م فوق سطح البحر وبضعها أكثر بقليل أما مدينة بريدة فتحيط بها سلسلة من الهضاب يصل علوها حتى ٩٠٠م[1].

---

١) لمحات عن منطقة القصيم - ص (٦).



الآثار في منطقة القصيم

كما ألمحنا إلى قدم القصيم فهو يحوي معالم أثرية بارزة ولم توجد فيه حفريات تعطي الدليل القاطع لتاريخها إلا أن فيه كثيرا من الآثار الجاهلية، كموارد المياه المنقورة في الصخور، والكتابات القديمة المخربشة والرسوم المنوعة على الجبال، وأكثر ما تبرز هذه الآثار في منطقة الجواء شمال غربي مدينة بريدة.

ومن الآثار الإسلامية بقايا المناجم، الموجودة في جبال النقرة وغيرها في غربي المنطقة، وآثار مدينة عنيزة، وبلدة ضرية، والأسياح، كل ذلك يحكي مآثر إسلامية خالدة، ومعالم من بقايا طريق (درب زبيدة).

هذا بالإضافة إلى ما يبرز للعيان في عموم المدن والقرى والأرياف من قلاع وأسوار وأبراج. مما كان يستخدم في سالف الزمن للدفاع والوقاية والإشراف وصد الأعداء كبرج الشنانة.

ففي عيون الجوى بقية من آثار دار عبلة، وفي الأسياح.. نباج بني عامر، وقد عرف في صدر الإسلام - إذ ذكر في حروب الردة - كما مرت به بعض الجيوش الإسلامية، ولمرور حاج البصرة به زادت شهرته ففيه «قصر مارد» مساحته ٤٥م × ٤٥م من الحجارة والجص وهو بناء عباسي. وفيه «بركة» قريبة من «البرقاء» مستطيلة الشكل وفيه سد شمال غرب قصر مارد.

والبريكة . . ما بين الصريف وقاع بولان غرب الربيعية «وضرية» وتشتهر بحماها المسمى «حمى ضرية» وفي ضرية «عين، وسد» اثريان . وفي جنوب غرب القوارة حاليا أطلال قصر يعرف «بقصر بليهد» و«النقرة» زاخرة بالآثار . كبقايا برك الحمادة والجفنية، وبركة الحميمة ومازالت الرمال الزاحفة تخفي تحتها آثارا إسلامية وجاهلية ولا تكشفها إلا الحفريات المتخصصة .

وفي حي «التغيرة» في بريدة وجدت آثار ذكرها العبودي في معجمه [٢/٦٥٤] مما يدل على أنها من منازل الحجاج في العصر العباسي .

عمارة بريدة

تشعبت الأقـوال في قدم وحـداثـة «بـريدة» وأخذت القضية أبعادا عاطفية، وعلمية. محصلها أن «بريدة» بئر حفرها الصحابي «بريدة» بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه حين أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم لتفقد إبل الصدقة[1]. أو أنها «بريدة» التي جاء ذكرها في معجم البلدان لياقوت الحموي.

لكن رد هذا القول العلامة حمد الجاسر وهو يعلق على قول الأصفهاني:

«ومن مياه بني ضببنه. . . ثم «بريدة» قال الجاسر: «ومن الوهـم ما جاء في بعض المؤلفات الحديثة من أن بريدة المدينة المعروفة هي في القديم هذا الماء. إذ هذا في غرب إقليم السر بقرب «جِبِلة» وبريدة. المدينة بعيدة عن منازل بني غَنِيّ تقع شمالها بمسافة تبلغ مئات الأميال»[2].

وممن وهـم الخانجي، صاحب كتاب «منجم العمران». ونقل الخانجي، ما ذكره البستاني، وقال: وقد اقتصر ياقوت على «بريدة» ماء بني ضببنه فرد عليه ابن بليهد في «صحيح الأخبار» بقوله: فبريدة لم تبعث إلا بين القرنين التاسع والعاشر، وياقوت توفي في القرن السابع[3].

---

١) هو بريدة بن الحصيب عبدالله بن الحارث الأسلمي. أسلم بعد منصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من بدر غزا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة وتوفي في خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ.

٢) بلاد العرب للاصفهاني ص٨٧.

٣) صحيح الأخبار ص٢١٥/٥.

وفصّل ابن بليهد القول في المجلد الأول فقال: فالذي اكتشفها «الدريبي» من أهل ثرمدا من العناقر. اكتشفها في النصف الأخير من القرن العاشر تقريبا وبقايا ذريته هم آل عليان الذين لهم ذكر في تاريخ بريدة وهم رؤساؤها وأمراؤها[1] على أن البليهد وهو يصحح وهم «الخانجي» رجح أن يكون موضع بريدة ما عناه شعراء غطفان بكلمة «برد» إلا أن العبودي رد ذلك[2].

ومن النصوص التي يكثر تكرارها، ويميل إليها كثير من المؤرخين قول ابن عيسى المذيل على تاريخ ابن بشر. وملخصه أن راشد الدريبي اشترى من آل هذال «ماء» لهم يعرف «ببريدة» وعمره وسكنه وكان ذلك في عام ٩٨٥ وقد ناقش الأستاذ العبودي هذا القول مناقشة علمية دقيقة، ثم خلص إلى القول:

«إننا نرى أن بريدة لم تكن مجرد ماء لابن هذال باعه إلى راشد الدريبي في آخر القرن العاشر الهجري. وإنما كان مكانها وما حوله معمورا مأهولا قبل ذلك التاريخ، وأن الدريبي وجماعته جاؤوا إليها وسكنوها مع من كانوا يسكنونها كما كان يأتي إليها غيرهم ويسكنونها»[3].

وذكر القاضي في تاريخه أن عمارة بريدة تمت عام ٩٤٥ ولم يعز ذلك إلى مصدر معين.

ولكن أين المكان الأصلي لبريدة؟

الراجح عندي وهو ما رجحه العبودي أن هناك مكانين يغلب على الظن كونهما النواة الأولى لبريدة، ويعرفان [بحيالة الفضل] و[جورة السالم]. أما حيالة الفضل، فتشمل مسجد المشيقح وبيوتهم وبيوت الخضير وجزء من هدميات سوق الخضار، وأما [جورة السالم] فتقع غرب قبة رشيد:

---

١) المصدر نفسه ١/١٥٤.

٢) صحيح الأخبار ص٣١، ٢/٣٢ والمعجم ٢/٥٥٩.

٣) صحيح الأخبار ٣١، ٢/٣٢ ومعجم بلاد القصيم ص٢/٥٥٩.

وهنـاك مسميات لبلدان معروفة قبل بريدة، أصبحت الآن من أحيائها مثل «الشماس» و«وهطان» و«العكيرشة» و«المطاء».

لقد اتضح لي من خلال استعراض النصوص والأحداث أن مكان بريدة كان مجموعة مزارع منها مورد ماء أو مزرعة لآل هذال من قبيلة عنزة وهذا المورد يسمى «بريدة». وقد يكون ابن هذال لا يملك غير هذا المورد أو أنه يملك مجموعة من الآبار والمزارع. وهذا المورد وما يتبعه يرتبط بإمارة «الشماس» وكان أمراء الشماس يأخذون زكاة المـزارع، وكان آل هذال وغيرهم بحكم انتمائهم إلى إمارة الشماس يدفعون الزكاة. واستمرت الحال حتى جاء آل «ابوعليان» يبحثون عن مكان يقيمون فيه. . . ووجدوا في هذا المكان الزراعي ما يسد حاجتهم فاشتروا من بين هذه المزارع والمساكن مورد الماء الذي يسمى بريدة من صاحبه وأقاموا فيه وتكاثروا وقويت شوكتهم وهم من قبل أولوا قوة وأولوا بأس شديد ومنازعون، فمجيئهم بسبب حروب ومنازعات وإقامتهم تفيض بالحـروب والنـزاع، وبهم أصبحت بريدة تنـازع «الشـماس» السلطة وأصبـح أهلها يضيقـون ذرعـا بآل شماس من الوداعين الذين يحكمون الشماس وما حوله ويبدأ آل أبوعليان يتأففون من دفع الزكاة لأمراء الشماس ومن ثم نشأ الخلاف بين آل أبوعليان من تميم وآل شماس من الـدواسر، وبـدأت المناوشـات لتنتهي باستقلال بريدة ثم باستيلائها على الشماس وتفريق أهله في عهد حجيلان بن حمد عام ١١٩٦هـ.

وأستبعـد أن تكـون بريدة نشـأت بسبب بروز جماعة من الدواسر وخروجهم مغـاضبـين بسبب خلاف أسري ثم اتسـاع ملكهم وبـدء حروب مع الشـماس ثم استيلائهم على الشماس.

وإن كان ثمة خلاف بين آل شماس فإن ذلك سبب مساعد لتمرد آل أبوعليان ورفضهم دفع الزكاة ومن ثم الإضطرار إلى المقاومة.

تعليل التسمية:

لا أعـرف بالضبط لماذا يلح الكثـير وراء تعليل اسم «بـريدة». لماذا سميت «بريدة. ولعل ذلك امتداد لرغبة العلماء الأوائل وتأليفهم في الاشتقاق.

لقد استقصى صاحب معجم القصيم بعض هذه التعليلات.

ـ فقيل سميت بريدة بهذا الاسم لبرودة مائها.
ـ وقيل إن أول من عمرها رجل يقال له «البريدي».
ـ وقيل كانت تسمى «برزه» لبروز أهلها وانفصالهم عن «الشماس» المدينة الأم. وبعد تحريرها من دفع الضرائب بردت لهم فسموها «بريدة».
ـ وقيل كانت روضة تتجمع فيها المياه فتنبت «البردي».
ـ وقيل كان فيها ملك لامرأة اسمها «بريدة».
ـ وقيل كان أصلها «بئرا» حفرها الصحابي الجليل «بريدة بن الحصيب الأسلمي» حين أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم لتفقد إبل الصدقة.

وقد رجح الأستاذ صالح الوشمي التعليل الأول فقال: «والذي أميل إليه أن سبب التسمية يرجع إلى برودة مائها لقرب منابعه في السابق».

وردَّ هذا الترجيح الشيخ العبودي مستعينا بمخالفة المقاييس الصرفية. فقال: «ولكننا إذا رجعنا إلى لفظ التسمية نجده لا يعطي ذلك ـ أي البرودة ـ في الفصحى ولا في العامية. إذ تصغير «باردة» هو «بويردة» أو «أبيردة» في كلتا اللغتين، وليس «بريدة». ذلك بأن تصغير «فاعل» هو «فويعل» وليس فُعَيِّل» وإذن هذا تعليل يجب أن نغض النظرَ عنه»[1].

قلت: وقد وهم العلامة في ذلك.

ووجه الوهم أنه بنى رده على «باردة». وليس من الحتم أن تكون بريدة تصغير «لباردة» فيختلف الوزن الصرفي.

---

١) معجم بلاد القصيم ج٢ ص٤٦٦.

ألا تكـون «بريدة» تصغير «لبرد» فبرد فعل ماض مصدره بَرد وتصغير «البرد» «بريد» ثم لحقت التصغير تاء التأنيث فصارت «بريدة» هذا إذا وافقنا من يعلل التسمية ببرودة الماء.

ولعله من باب الفضول أن ألمح إلى أنه فات المعللين أن يقولوا إن [بريدة] تصغير «بردة». وهي ما تلبس للزينة، والتدفئة، وقد لبسها الرسول صلى الله عليه وسلم وكافأ بها كعب بن زهير على قصيدته. فلماذا لا تكون بريدة سميت بهذا لأنها تدفىء أهلها وتجملهم. كذلـك «الـبردَة» بالتحـريك وسط العـين. فلماذا لا تكون هذه التسمية لتوسطها بين مدن وقرى القصيم. هذا لا يمنع ما دمنا نمارس التخمين في تعليل التسمية.

وفي الكتب الجغرافية الحديثة وقفت على أسماء متعددة لأماكن متفرقة في الجزيرة العربية تحمل الإسم نفسه مثل:

- بريدة: قرية بمنطقة «غميقة» في إمارة مكة المكرمة.
- بريدة: من موارد الشيابين بمنطقة الخاصرة من إمارة الرياض.
- بريدة: من قرى جشم من قبيلة في نجران.
- البريدة: سلسلة جبلية تقع جنوب بلدة الظفير يفصل بينها وبين الظفير مجرى وادي [قوب] وبالقرب منها وادي الغمدة به موارد مياه.
- بريدة: ماء لبني ضبينه وهم ولد جعده بن غني بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان.
- يوم بريدة: يوم من أيامهم. ذكر ذلك صاحب التاج.
- بريدة: المدينة المعروفة التي نتحدث عنها. وفيها وهي حاضرة القصيم.

وكل الأسماء السابقة لا تعني بريدة، لأنها حديثة التسمية في عمر المدن قديمة السكن إذ أن القصيم مازال منذ الجاهلية مسرح أحداث، وساحة غدو ورواح.

كذلك جاء ذكر «برد» في الشعر الجاهلي فمن ذلك ما أورده ابن بليهد من قول النابغة:

أضطرّك الحرز من ليلى إلى برد   تختاره معقلا عن جش أعيار

فقـال معلقا على ذلك: «برد الذي ذكره النابغة . . . وظني أنه كان في موضع بريدة اليوم لأن بريدة بلد حديث»[1].

وقـد رد هذا الظن الأستاذ العبودي بقوله: «إن المنطقة التي فيها مدينة بريدة ليست من بلاد غطفان في القديم»[2].

موقعها

قال وهبة «تقع في الطرف الشمالي من القصيم العليا على الجانب الأيسر من وادي الرمة»[3].

وقال المستر لويمر: «تقع في القصيم . . . في جانب وادي الرمة»[4]. قلت وتبعد عنه ثمانية أكيال، ولكنها التقت به في حي الضاحي.

وقال الدباغ: «تقع على الجانب الأيسر من وادي الرمة».

وقال المستر توتشل: «تقع في الجزء الشمالي من ضفة وادي الرمة اليسرى».

وقال عمر كحالة: «تقع على مرتفع رملي صحي» ثم نقل قول حافظ وهبة.

هذه طائفة من أقوال المتأخرين عن موقع بريدة. وموقعها في وسط القصيم إلا أنها تميل إلى الشرق فامتداد القصيم من الشرق أقل من امتداده من الجهات الأخرى.

وموقعها في الجزيرة العربية شبه متوسط. . . لأن القصيم نفسه يتوسط نجد نسبيا.

---

1) صحيح الأخبار ٣١، ٢/٣٢.
2) ٢/٥٥٩ معجم بلاد القصيم.
3) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٦١.
4) معجم بلاد القصيم ٢/٥٧٨.

وموقعها المتوسط أكسبها أهمية قصوى حيث كانت ملتقى الخطوط القديمة والحديثة. وكانت مركزا طبيعيا تربط مدن القصيم ببعضها فهي إلى جانب كونها حاضرة القصيم حلقة اتصال بين مدن المملكة. ويبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر من ٦٠٠ ـ ٧٠٠م تقريبا وتقع على خط طول ٤٤° شرقا مع خط العرض ٢٦,٥° شمالا تقريبا.

وتفصلها عن حافة وادي الرمة الشمالية تكوينات رملية، كما تحيط التكوينات الرملية التي تلف بأعطافها من جميع جهات المدينة واحات النخيل الجميلة والبساتين. وهي التي تسمى بالخبوب التي وصفها الريحاني بقوله: «الخبوب التي تطوق مدينة بريدة كالقلادة من الزمردة في خيط من ا لذهب لبدوية القصيم».

وبريدة بمبانيها الشاهقة الطينية وسط كثبان الرمال الذهبية ومن حولها مروج خضراء تسمق في وسطها النخيل بأشكالها وألوانها وما يكتنف ذلك من هدوء ودعة، وما هي عليه نجد من جفاف وما فيها من صحارى شاسعة مخيفة كل هذا أعطى بريدة مزيدا من الشاعرية والهدوء، والبهاء مما حدى بالرحالة والمستشرقين، إلى مزيد من الأداء الشاعري.



جغرافية العمران

مستوى الأرض

نشأت مدينة بريدة صغيرة كأي مدينة أخرى على المعمورة فكانت في بداية عمرانها، سواء في القرن العاشر، أو التاسع أو قبل ذلك كما أتوقع. كانت تقبع تحت كثيب من الرمل، يحميها من الأعاصير ويقربها من الماء. وأقرب ما تكون في نشأتها الأولى إلى [البوطة] «أو العجيبة» وهما حيان معروفان أصبحا الآن في وسط بريدة. وزالت بعض المعالم بسبّب التوسعات المستمرة للشوارع والساحات والحدائق والأسواق المركزية.

والقصيم كما هو معروف جبال من الرمال الزاحفة والثابتة وكانت مدنه وقراه تقبع في تلك «الخبوب» لتكون قريبة من المياه الجوفية بعيدة عن الأعاصير.

وحين امتد العمران وانتشرت المباني زحفت على الكثبان العالية، والرياض المنخفضة، فكانت طبيعة الأرض في مدينة بريدة غير مستوية.

فهي تشغل الحبل الرملي الواقع غرب المطاء، والمعروف «بحارة العوازم» حاليا وأخذت تزحف إلى «الخُبَيْبِيَّة» متجهة إلى الغرب باتجاه بلدة «حويلان». وتشغل الحبل الرملي الواقع شرق المطاء والمعروف بنفود «البوطة» والحبل الرملي الممتد على طول الجهة الغربية لشارع الخبيب، والحبل الرملي الممتد على طول الجهة الشرقية منه والمطل على

المطار القديم والمعروف بنفود «المطار». كما تمتد على طول الحبل الرملي الممتد من الشرق إلى الغرب والمعروف بنفود السادة متجهة جنوبا على الصفحة الشرقية من «الصباخ» و«رواق» متقدمة بهذا الاتجاه شرقا لتطل على «وهطان» و«الحصباة».

كما زحفت على رمال الضاحي الممتدة على كل الاتجاهات والمطلة من الغرب والشمال على وادي الرمة «الباطن». ولم تكتف بالتهام الكثبان الرملية العالية، فأخذ امتدادها من ا لشمال متجاوزا «جفر الحمد» موغلا في العمق إلى أطراف «الشقة» متجها من الجنوب الغربي إلى «القويع» «فالصبيحية» متجها إلى «الغاف» بعد تجاوز «الشماس» نافذا إلى «البصيرية» ليلتقي مع الأعمار الممتد من «المطاء».

وامتدت من الشرق الشمالي بحيث التهمت التلال الصخرية المعروفة بالصفراء ثم تجاوزت [شعيب الودي] نافذة إلى «الفايزية» من جهتين.

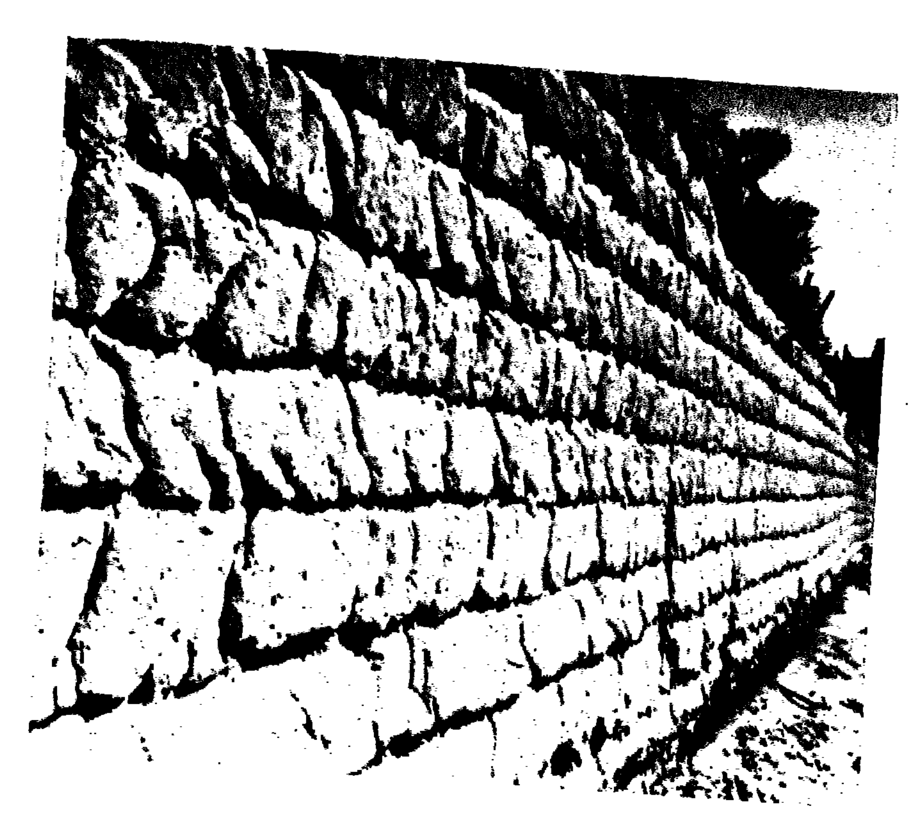
ومن الشرق التهمت المطار القديم، فالرفيعة متجهة إلى «النقع» ثم امتدت من الشمال والجنوب باتجاه «عين الذيب] فـ[النصاريات] وباتجاه [القاع البارد] و[الوسيطا].

ومن الجهة الشرقية الجنوبية زحفت على [خضيراء] و[خب القبر] والتحمت مع الإعمار لزاحف من جهة الشمال في [الضاحي] وفي كل جهة ترتفع فروع النخيل، وأهداب الأثل معلنة الرفض لهذا الزحف المخيف على الأخضر واليابس، ولكنها في النهاية تتساقط تحت سنابك المعدات الثقيلة معلنة إفلاسها أمام نهم المساهمين، والمخططين، والمقترضين.

هذا الاتساع السريع الملتهم للوهاد والنجاد جعل مدينة بريدة تبدو للرائي في الليل كصفحة البحر حين يأخذه الأعصار أمواج عالية وأخرى منخفضة وفيما بين ذلك تقوم الأحياء السكنية والشوارع والمتنزهات وأسواق التجارة وقلاع العلم من مدارس، ومعاهد، وجامعات. وقلاع المؤسسات، والمصانع، والخدمات. ومازالت النهضة

العمرانية تمتد على كل الاتجاهات الأمر الذي يصعب معه تحديد الأبعاد العمرانية لمدينة [1] بريدة .

لقد أسهم البنك العقاري وبنك التسليف وبنك الاستثمار في اتساع مدينة بريدة وامتدادها فقد بلغت القروض للوحدات السكنية حتى نهاية عام ١٤٠٤هـ ما يزيد على واحد وعشرين ألف وحدة سكنية نصيب بريدة من هذا الكم تسعة آلاف وحدة سكنية .



احـد الأسـوار القديمة
الـتي تقـع في منتصف
شارع الصناعة ببريدة

الأسوار والامتداد العمراني

مساحة بريدة في عام ١١٥٤هـ من الجهة الشمالية في منتصف المساحة الواقعة بين الجامع الكبير، وشارع الخزان حاليا.

ومساحتها من الجهة الجنوبية «قبة رشيد» فطولها من الشمال إلى الجنوب لا يزيد على ٣٠٥ أمتار تقريبا.

وامتدادها من الجهة الشرقية لا يتجاوز المكتبة العامة حاليا، وامتدادها من الجهة الغربية إلى حد المقبرة الواقعة غرب الجامع الآن. فطولها من الغرب إلى الشرق حوالي ثمانين مترا.

إذن تكون مساحة بريدة الفعلية في منتصف القرن الثاني عشر لا تزيد بحال على ثلاثة وعشرين ألف متر مربع. يضاف إلى ذلك منزلة صغيرة خارج السور ثم أخذت في الاتساع المستمر، وقد أشار الأستاذ صالح الوشمي إلى سور قديم يعتبر أول الأسوار فقال: «حيث يشمل مساحة واسعة يقدر طولها بحوالي ثلاثة كيلومترات بعرض كيلومتر واحد تقريبا، وهذا السور قد طمرت الرمال المتحركة أجزاء كثيرة منه عثر عليها بشكل منتظم حين حَفْر الآبار داخل البيوت»[1].

ولا أعرف مصدر هذا الخبر، ومع أن مقال الأستاذ الوشمي جاء بعد حديث الأستاذ العبودي عن أسوار بريدة إلا أنه لم يبرز هذا التباين الواضح. وإذا كان الوشمي

١) مجلة الفيصل.

قد جعل مساحة بريدة داخل أول سور ثلاثة ملايين متر، فإن العبودي لم يزد المساحة داخل أول سور عن ثلاثين ألف متر، وهذا تباين واضح وقد وضع مؤلف كتاب «بريدة» مساحات تقريبية لفترات متباينة. ففي سنة ١١٥٥ بلغت ١٧٠٠٠م٢ وفي عام ١٢٣٥ بلغت ٦٩٠٠٠م٢ وفي عام ١٣٠٥ بلغت ٣٠٠٠٠٠م٢ وفي عام ١٣٢٥ بلغت ٥٤٠٠٠٠م٢(١).

وقد أحيطت بريدة بمجموعة من الأسوار حسبما يفرضه اتساع المدينة.

- فهناك سور الدريبي الأول، وأتصور أنه أقيم قبل التاريخ المتوقع وهو مطلع القرن الثاني عشر. أي في مطلع القرن العاشر، هذا إذا أخذنا بمنطوق التاريخ، وهو أن عمارة بريدة تمت في النصف الأخير من القرن العاشر ولأمانة التاريخ يحسن أن يقال: أول سور عرف حول بريدة، لا أول سور أقيم حول بريدة، لأنه لا يمكن أن يكون سور الدريبي هو أول سور ولم يعرف إلا في القرن الثاني عشر إلا إذا كانت بريدة يومذاك مجموعة مزارع تابعة لإمارة الشماس والمزارع عادة لا تسور، والمعروف أن هناك سورا للشماس وهناك «مرقبا» بقي إلى وقت قريب.

-وبعد سور الدريبي، أقيم سور آخر ينسب إلى راشد الدريبي، وهذا الأمير قتل في نهاية القرن الثاني عشر. فيكون بين السورين خمسون سنة تقريبا. إذ لم يذكر سور لآل هذال الذين باعوا هذا المورد على القادمين من آل ابوعليان.

-ثم أنشىء سور حجيلان بن حمد الذي توفي في النصف الأول من القرن الثالث عشر فيكون بينه وبين سور الدريبي قريبا من أربعين سنة. وقد دخل ضمن هذا السور مساحة لا تتجاوز الأربعمائة متر على كل الجهات. وعهد حجيلان من أقوى العهود وحكمه من أطول الفترات ولولا أخذ الأتراك له لزادت قوته.

- ثم أنشىء سور يعرف بسور «حسن المهنا» وذلك في عام ١٣٠٧هـ قبل وقعة المليدا بعام واحد.

---

١) «بريدة» للريدي.

ثم أنشيء سور صالح الحسن المهنا عام ١٣٢١ وكان هذا السور آخر ما أقيم حول بريدة من الأسوار[1]. وقد أدركنا بعض أبواب هذا السور، فأحدها في موقع محطة النقل الجماعي شرق الجردة والثاني في شارع الصناعة قبل تقاطع شارع الوحدة معه قرب مكينة الطامي سابقا.

ويتضح من تقارب الزمن وقصره بين عمارة سور وآخر سرعة نمو بريدة، واتساعها وكثرة ساكنيها، في وقت كانت فيه نجد بمدنه وقراه تعج بالفتن والكوارث والأمراض وهي أحداث وحوادث لم تنج منها بريدة.

ولعل مرد ذلك إلى أسباب من أهمها المركز التجاري الذي تتمتع به بريدة، وكثرة المزارع المحيطة بها، وهذان العاملان من دواعي الهجرة إلى بريدة للعمل والاتجار.

١) ويقال إن هناك إصلاحا وزيادة سور أثناء وبعد وقعة السبلة يمتد من الشرق من مسجد السويد الحالي حتى يصل إلى مسجد الشيخ عمر بن سليم جنوبا ثم يتجه إلى الغرب باتجاه نخل الحجيلان.

خريطة بريدة كما رسمها فلبي عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م

قصور بريدة.. وحصونها.. وأسوارها

من عادة الأمراء اتخاذ قصر للسكن وآخر للعمل، وقد يتخذون مزارع قريبة أو بعيدة مثل «الشقيرى» للدريبي «والتغيره» لآل عدوان وكلهم من آل ابوعليان، ولحسن المهنا «روضة مهنا». «والرفيعة».

وفي فترة الخوف يتخذ قصر واحد للعمل والسكن معا. ويبذل فيه من التحصين ما يحمي الأمير وأهله من الغارات المفاجئة والحصار الطويل، والإمارات النجدية عاشت فترة من الخوف والجوع ونقص في الثمرات والأموال والأنفس ألجأها إلى عمل أسوار، وحصون، وقلاع وأبراج وأبواب وحراس.

وحين أراد الله لهذه البلاد، الهدوء والاطمئنان ورغد العيش قيض لها من يحمي عبء المسؤولية ويرعاها حق رعايتها.

لقد نهض الملك عبدالعزيز لإعادة ترتيب البيت السعودي الكبير وبتوحيد أجزاء البلاد تحت شعار «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وداخل كيان «المملكة العربية السعودية» هدمت الأسوار، والقلاع، والحصون، وأغمدت السيوف، ونهضت قلاع الصناعة، وحصون العلم، وأسوار القيم والمثل، واستبدلت قعقعة السيوف بضجيج المصانع. وهزير الرماح بتمايل سنابل الحبوب.

قصر بريدة

وفي بريدة قصر مشهور تحطمت تحت أسواره آمال عريضة ومطامع طامحة، وزهقت تحت حصونه أنفس شجاعة ولكنه استسلم للآلة ثم غاب في ذاكرة التاريخ .

كان هذا القصر قديما قدم بريدة. . . وكان يسمى «القلعة» وربما كان أساسا قلعة فقط للإشراف لأنه يقع فوق تل من الرمل، والمطل من مقاصيره يرى مسافات بعيدة من كل الجهات وبعد اشتداد الخوف تحول إلى قلعة ومسكن للأمير، وقيل إن راشد الدريبي كان ينام فيه ليلا ، ولا نعرف ما إذا كان المقصود براشد الأول أم الثاني، ولا أستبعد أن يكون الأخير راشد بن حمود بن عبدالله بن راشد العنقري التميمي ، كما لا أستبعد أن تكون القلعة قد أقيمت في مكان القصر من قبل راشد الثاني لأن من عادة النجديين إقامة القلاع في الأماكن المرتفعة أو المنبسطة الممتدة.

فـ«برج الشنانة» و«مرقب الشماس» أقيما في مكان منبسط و«مرقب الشقه» و«قلعة بريدة» و«الصنقر» أقيمت في أماكن مرتفعة ، وهكذا سائر القلاع .

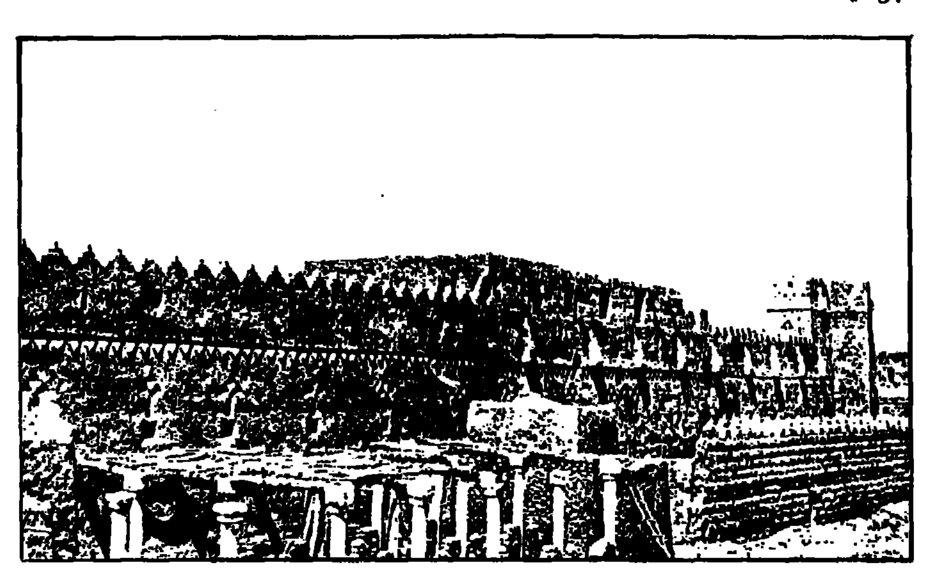
قال ابن عبيد في التذكرة: «ثم دخلت سنة ١٢٩٧هـ وفي هذه السنة شرع الأمير حسن بن مهنا أمير بريدة. . . في إصلاح قصر الحكم في بريدة»[1] وكلمة إصلاح أكثر دقة من كلمة أمين الريحاني الذي زار القصر عام ١٣٤١هـ وقال: «إن الذي أسسه ابن مهنا»[2] ذلك أن ابن مهنا أصلحه ووسعه وجوده ولم يؤسسه.

وقال ابن عبيد في موضع آخر: «ومن أعظم ما شيده ـ يعني حسن بن مهنا ـ قصر مدينة بريدة المشهور، وكان كبيرا جدا فيه حصون وأبراج وقلاع مهيأة للحرب وجعل في أعالي حيطانه مصاليت ومعدات للقتال وأودع فيه محلات المالية، ومجابي التمور والحبوب والأسلحة، وفيه مجالس واسعة وخزائن وسجون، وجميع ما تحتاج إليه هذه

١) ١/٢٤٣.
٢) ٢/١٢٥ ملوك العرب.

الإمارة، وكان هذا القصر محكم البناء بالنسبة إلى بناء البلد منيعا جدا وقد زاد على حيطانه حائطا بعد حائط من يتولى بعده من الأمراء. ويسكن هذا القصر أمير بريدة الموجود فيها»[1]،

ويقول العبودي في هذا القصر بالذات قتل راشد الدريبي وهو يحاول الخروج من بابه للهرب في حدود عام ١١٩٣هـ قتله حجيلان بن حمد ومن معه من آل أبوعليان.



جانب من قصر بريدة

قلت: المعروف أنه يومذاك يسمى بـ«القلعة» وفي عام ١٢٩٢ تحصن به من آل ابوعليان قتلة مهنا الصالح الأمر الذي دفع أولاده لنسف أحد أبراجه بالبارود وقتلهم وبعد هذه الهدميات بدأ حسن المهنا بعمارته عام ١٢٩٧هـ وقبل ذلك أي في عام ١٢٧٩ نزله الأمير محمد بن أحمد السديري عندما استعمله فيصل بن تركي أميرا لسائر بلدان القصيم. وفي عام ١٣١٨ حوصرت حامية لابن رشيد على رأسها أمير بريدة من قبله

١) ١/٢٧٢.

سعد الحازمي ، وحين استسلم عابه الشاعر حمود بن رشيد وذكر مناعة قصر بريدة :

القَرْفُ حوّل من طويل العلالي   لاسَلْ بهْ سيفٍ ولا ثار بارود

وبعد وقعة البكيرية عام ١٣٢٢ حوصر القصر من قبل أهالي بريدة وفيه أمير من قبل ابن رشيد يقول العوني في ذلك :

جينا وابن ضبعان (بالقصر) حارب   والشيخ جانا قال : كوده يقارب

وقد أجريت له إصلاحات مستمرة يقول ابن عبيد في تاريخه : «وقد زاد على حيطانه حائطا بعد حائط من يتولى بعده من الأمراء».

وقال : «وقد رأيت جدار حسن بن مهنا لما هدم الأمير عبدالله بن فيصل الفرحان ركن القصر الشرقي الجنوبي لما كان أميرا في بريدة لإنشاء بعض غرف فيه»(١).

وأشار أمين الريحاني إلى أن الزيادة جاءت من ابن رشيد وابن سعود(٢).



منظر عام لقصر بريدة قبل أربعين سنة تقريبا

١) ١/٢٧٢ .
٢) ملوك العرب ٢/١٢٥ .

ومن هذا يتضح أن قصر بريدة مر بمراحل عدة فكان «قلعة صغيرة للمراقبة» ثم كان مقرا للخيل والسلاح ومأوى للأمير في الليل. . . وقد تعرض لحصار وهدم وتفجير وفي كل مرة يرمم، ويضاف إليه حتى جاء حسن بن مهنا فأظهره بالشكل الملفت للنظر. . . وجاء ابن رشيد وأبرزه وهدم ما حوله من البيوت للسيطرة على حمايته فأصبح وسط ميدان ولم يستأنف البنيان فيها إلا بعد خمسين سنة وقد هدمها في أعقاب وقعة الطرفية عام ١٣١٨ وجاء ابن سعود فزاد فيه ورمم، وأصبح مقرا للأمراء في عهده حتى إمارة عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد الذي أقام قصرا من الطين شرق بريدة مطلا على المطار القديم وانتقل إليه، ثم هجر القصر بعد ذلك لعدم صلاحيته إلا من سكن بعض «الخويا» والعمال وفي عام ١٣٨٨هـ آذنت شمسه بالأفول وقررت بلدية بريدة هدمه وليتها لم تفعل.

قصر حمود الدريبي

لقد كان للأمير حمود بن عبدالله الدريبي قصر في نخله المعروف «بالشقيرى» ومازال النخل والمكان معروفا إلى الآن، ويقع غرب مدينة بريدة، وربما كان القصر لمن سبقه لأن «الشقيرى» نسبة إلى رجل من آل ابوعليان، وقد ورثه أو استولى عليه بحكم الإمارة. وأغلب الظن أن قصره في نخله لأنه يقيم فيه، وقد حصل عليه اعتداء فيه. . . وحصل اعتداء علي ابنه راشد من بعده كاد يودي بحياته ولكنه حين أحس بالمعتدين هرب إلى الأحساء، ثم عاد بمساعدة عريعر عام ١١٨٨ وطرد المعتدين من آل حسن وهم عائلة من ابوعليان.

ويظهر من سياق الأحداث أنه بعد عودته انتقل إلى «القلعة» إذ ذكر بعض المؤرخين أنه كان ينام بـ«القلعة» ليلا والقلعة هي مكان قصر بريدة المشهور.

قصر ال حسن

بعد عودة راشد الدريبي، وطرد أبناء عمه آل حسن عادوا مرة ثانية مع الإمام سعود بن عبدالعزيز عام ١١٨٩هـ وحاولوا الاستيلاء على راشد ولكنه هذه المرة كان متحصنا بـ«القلعة» وحين أعياهم الحصار اتفقوا على إقامة قصر محصن للانطلاق منه،

فأقاموه شمال غرب الصوير إلى اليمين مباشرة من خط الاسفلت المتجه إلى الضاحي. وسكنه عبدالله بن حسن آل ابوعليان وأصبح في بريدة قصران «قصر بريدة ـ القلعة» و«قصر آل حسن». واستمرت المناوشات بين الطرفين.

قصر حجيلان بن حمد

أقام حجيلان بن حمد قصره جنوب جامع بريدة وربما كان مقاما من قبله لأنه كان يتيما يعمل عند أخواله من التواجر في الطرفية وقدم إلى بريدة من هناك واستولى عليها ونصب نفسه أميرا... وقد آل هذا القصر إلى أسرة الجلاجل، وهو بيوتهم أو مكان بيوتهم المعروفة في الجهة الجنوبية الغربية من جامع بريدة وفي عام ١٣٨٤هـ أخذ جزء من هذه البيوت لفتح شارع الملك فيصل. وفي هذا القصر قتل أميران... هما عبـدالله بن حجيلان بن حمد آل ابوعليان، قتله رشيد بن سليمان الحجيلاني من آل ابوعليان وانتزع الإمارة منه وأقام في القصر. ثم قتل رشيد الحجيلاني بإشعال النار في مخزن البارود من قبل لولوة بنت عبدالرحمن العرفج من آل ابوعليان والدة عبدالله وزوجة حجيلان الذي أخذه ابراهيم باشا معه إلى المدينة وتوفي هناك.

وكان رشيد قبل استيلائه على الإمارة يسكن في بيته المشهور والمعروف بـ«قبة رشيد» لأن القبة جزء من بيته والمعروف أن آل أبوعليان يسكنون في هذه المنطقة لأنها نواة مدينة بريدة، وقرب سوق داحس توجد بعض مساكنهم كمسكن الشاعر محمد العلي العرفج.

قصر عبدالله بن مساعد

كان أمراء القصيم يقيمون في «قصر بريدة» مع عوائلهم وخدمهم، وكتابهم، وكـان آخـرهم الأمـير عبـدالله بن عبدالعزيز بن مساعد من عام ١٣٦٦ حتى عام ١٣٧٥هـ ولما لم يعد «قصر بريدة» كافيا، ولا صالحا أقام قصرا خاصا به من الطين وارتحل إليه وموقعه الآن اتخذ لمقر إمارة القصيم ولإدارة شرطة بريدة والمطافي. وكان أن بناه من الطين واللبن والحصى وأكثر فيه من الأفنية والمجالس ولم يكن يومئذ بحاجة إلى القلاع والأسوار لاستتباب الأمن وحين ترك القصيم أصبح مقرا للأمراء من بعده حتى تم هدمه وتحويله إلى مقر إداري لإمارة القصيم ولبعض الإدارات التابعة لوزارة الداخلية.

الأحياء السكنية

مازالت الأحياء السكنية تحمل أسماءها القديمة، فلم يتم تسمية أي حي حتى الآن منها وما أزال أفضل الإبقاء على الأسماء القديمة لتحتفظ بريدة بهذه الأسماء للمدن والقرى التي التهمتها في امتدادها ويمكن حصر المسميات التي تعتبر داخل مدينة بريدة على النحو التالي:

البوطة: لم يتعرض لها العلامة محمد العبودي، وهي حي سكني معروف غرب بريدة وكانت مزارع لبعض الأسر الثرية في بريدة، ومازالت بعض النخيل فيها.

التغيرة: ابتدعها عبدالله بن عدوان أمير بريدة عام ١٢٧٥ ثم السديري ١٣٥٧ وآلت للبليهي بعد الصلح مع آل أبوخشرم من آل ابوعليان. وفيها آثار فربما كانت من منازل الحجاج في العصر العباسي وتعج الآن بالمساكن.

الجفر: وتعرف بجفر الحمد، تقع شمال بريدة، وتتبع في القديم الشماس، وقد أصبحت الآن في قلب بريدة، وتنسب لآل حمد من الدواسر، وكانت مصدر «الطين» سابقا، تم ردمها وتحويلها إلى ميدان عام للخدمة العامة وتقع بين شارع الخبيب، وشارع الصناعة.

حارة ابن صبيح: جنوب وهطان، وتعرف بالقاع، وبالحصباة من أقدم المخططات السكنية. ويفصله عن وهطان الشارع المتجه إلى سوق الماشية.

الحسيانية: جنوب الشماس وقد دخلت ضمن المساكن الحديثة.

الحافة: تبعد عن بريدة بمسافة ٦ كم وكانت تقع على حافة النقع، في الأصل كانت مزارع وقد امتد إليها العمران.

الحويزة: تصغير «حوزة» أو «حزة» حارة في غرب بريدة، أرضها طينية زراعية وقد جاء ذكر «حزة» في الشعر القديم وربما كانت هي المقصودة بذلك.

الجردة: حي تجاري سمي لوقوع جردة بريدة فيه ومن حول الجردة تقوم مساكن قديمة طينية وقد تحول بعضها إلى شقق.

حي الخليج: غرب سوق الماشية في ذروة النفود المطل على المطاء من شرق وعلى الشقيرى من غرب.

حي التوفيق: شرق السادة وجنوب مقبرة الصقعاء يمتد شرقا حتى الحصباة وحارة ابن صبيح.

الخبيب: يضاف إليه شارع، فيقال شارع الخبيب، والخبيب سهل بين كثيبي رمل وكان في السابق أرض خلاء يستمد منه الأهالي طين المباني قبل جفر الحمد. أما الآن فهو من أهم أحياء وشوارع مدينة بريدة.

خب القبر: مجموعة مزارع بين الضاحي، وخضيراء، أرضه سبخة زحف إليه الإعمار من كل الجهات.

خضيراء: مجموعة مزارع، وأحياء سكنية فيها إمارة، ومدرسة وقد زحف إليها الإعمار والتحمت مبانيها مع بريدة.

الرفيعة: كانت مزارع لأمير بريدة سابقا حسن بن مهنا وذكرها بعض الرحالة الفرنسيين يمر بها طريق بريدة ـ الرياض القديم وقد أصبحت من الأحياء السكنية الحديثة.

رواق: على بعد ثلاثة أكيال، يعد من الموارد القديمة وهو الآن مجموعة من المزارع التي ضيق عليها الخناق امتداد العمران من بريدة. وكان له ذكر في التاريخ الحديث لوقوعه مع الصباخ بين بريدة وعنيزة.

الزرقاء: هي أول منطقة نبع فيها الماء بدون رافعات وهي مجموعة مزارع زحف عليها العمران.

سعة الله: كانت بساتين بين بريدة، والصباخ، وقد أصبحت الآن مجموعة من المساكن.

السالمية: تنسب لصاحبها إبراهيم بن سالم، تقع جنوب بريدة وشمال رواق وهي حي حديث كان عبارة عن مزارع صغيرة ثم عمر والتحم بالمدينة.

السـادة: تقع جنوب شرق بريدة، كانت قرية صغيرة، وسميت بذلك لأنها سدت برمالها شعيب الفاجرة الذي ينتهي. «بوادي الرمة». أما الآن فأصبحت في وسط بريدة، ومن أهم أحيائها إذ يخترقها شارع الخبيب.

الشقيرى: مزرعة ومساكن قديمة أنشأها راشد الدريبي قبل عام ١١٥٦ وبنى فيها قصره وأقام حوله سورا، وتعتبر الآن من الأحياء التجارية بالإضافة إلى المساكن القديمة. وينسب إلى الشقيرى من آل ابوعليان وهو الذي قتله حجيلان بن حمد.

الشماس: كان قرية قديمة، يقال إنها من أقدم بلدان القصيم عمرانا حتى قيل إنها كانت أكبر من بريدة. وكانت إمارته لجماعة من الوداعين من الدواسر، من ذرية شماس بن سابق وكـان مرقب الشـماس معـروفـا إلى عهـد قريب، وللشماس ذكر في التاريخ منذ القرن العاشر. وبعد أن قضى حجيلان بن حمد أمـير بريدة على الشماس انتقل من بقي منهم إلى الشماسية.

الصباخ: مجمـوعـة من البسـاتين وحقول البرسيم، وكان من البلدان المهمة التابعة لبريدة ويسمى «فيحان» وكانت عمارته حديثة، ويغلب أنه عمر أثناء إمارة حجيلان بن حمد الواقعة بين عام ١١٩٢ ـ ١٢٣٤هـ. أما اليوم فقد التحم في بريدة وأصبح من أحيائها السكنية، وإن كانت أغلب بساتينه عامرة وتمد الأسواق بأنواع التمور والخضار والأعلاف.

الصفراء: مقاطع الحجارة للبناء في السابق، ومراتع المواشي وربما كانت هذه التسمية لوجود طينة صفراء تتخلل الصخور، أما حجارتها فبيضاء، وكانت الحجارة تؤخذ من جهتها الجنوبية الغربية.

أما اليوم فقد أصبحت من أجمل الأحياء السكنية، وأكثرها ازدحاما وفيها محطة التليفزيون، وسكن سمو الأمير، وبعض المراكز والمدارس وفي شمالها أقيم الاستاد الرياضي ومشروع الإسكان.

الصقعاء: كانت في السـابق بسـاتـين منفصلة عن بريدة فيها آبار عذبة ينفذ إليها القاصد من بين المقبرتين الكبيرتين الذي سلكه طريق بريدة ـ الرياض، وهي جزء من بطن وادي الفاجرة «شارع الخبيب» حاليا. وإلى غربها مقبرة نسبت إليها.

ويحتلهـا الآن جزء من الحي العلمي، والمستشفى وبعض المنازل ويفصلها عن شارع الخبيب مقبرتان قديمتان.

الصُّنْقر: برج أقامه الأهالي على تل من الرمل غربي بريدة وظلت أطلاله باقية بعد فتح الملك عبدالعزيز لبريدة ونشأت من حوله مساكن حديثة التحمت بمخطط المطاء المسمى بحي الملك فيصل.

الصـوير: تصغـير صور لصغار النخل، وكانت تلك الأرض مشهورة بـ«الصيران» وهي صغار النخل الملتفة حول بعضها، وهو خب صغير إلى الجنوب من العكيرشة وهو قديم العمارة، وقد امتد إليه العمران من بريدة فأصبح من أحيائها الآهلة بالسكان.

الضاحـي: الضاحـي تلال عالية وممتدة من الرمال تقع شرق بريدة، وسمي بذلك لبروزه، وظهوره، وعلوه. من ضَحِيَ الشيء إذا بان وبرز، وكان إلى وقت قريب، تلال من الرمال تمتد على طول الجهة الغربية من وادي الرمة، وكانت تلك الرمال ممنعة لا يصل إليها إلا الراجلون، وراكبو الحيوانات، وحـين امتـدت خطوط الأسفلت اخـترقها طريق الرياض - بريدة. ثم قامت البلدية بتخطيط المكان على وضعه وتوزيعه. فقامت فيه العمارات السكنية، والحوانيت إلى جانب المزارع والمنتزهات، والدوائر الحكومية، ويعد الآن من الأحياء السكنية الآهلة بالسكان والمصانع.

العجيبة: لعل هذه التسمية مرتبطة بشيء يثير العجب إما في مائها، أو زراعتها، أو غير ذلك، وأيا ما كانت دلالة هذه التسمية فهي محلة شمال غرب بريدة كانت مجموعة بساتين تحولت فيها بعد إلى مساكن.

عجوزا: نقرة صغيرة بين كثبان من الرمال شرق مدينة بريدة على بعد ثلاثة أكيال تقع بين الصوير وخب القبر. تحولت إلى حي سكني حديث.

العكيرشة: شرق مدينة بريدة. أرض زراعية طفت فيها المياه المالحة، فأفسدت الكثير من مزارعه وفيها آثار عمارة تدل على عراقته وقدمه.

عين الذيب: في الأصل مزرعة لأحد رجالات الملك عبدالعزيز، من أبناء بريدة زحف العمران إليها من كل جانب حتى أصبحت من الأحياء المسكونة.

عين مشعل: من مزارع الأمير مشعل بن عبدالعزيز، تم تخطيطها وبيعها بالمزاد وتقع إلى الشمال الغربي من بريدة، وفي شرقها القصور الملكية والمنتزه الكبير.

الغـــاف: ويسمى غاف القويع، واشتهر بانبثاق الماء العذب فيه عام ١٣٧٢هـ، وقد دخل ضمن العمران بعد امتداد مدينة بريدة على كل الاتجاهات.

الفاخرية: من الأحياء الجديدة تقع شرق بريدة على امتداد الشارع المتجه إلى الضاحي.

الفاضلية: نسبة إلى آل فضل المالكين لها، شرق مدينة بريدة وغرب الرفيعة.

الفائزية: نسبة إلى آل فوزان، وتسمى في القديم «الفوزانية» فتحولت لغرض التخفيف إلى الفائزية. وكان إلى جنوبها مزرعة الأمير سعود بن هذلول، وتطل على الصفراء من الشرق. وهي على امتداد الجال الشرقي «للودي» وتعتبر من الأحياء السكنية المهمة لارتفاعها وامتدادها واستواء أرضها، وفيها أشهر الفنادق والقصور، وبعض المشروعات الغذائية وتشمل التسمية كل المخططات الممتدة من «فندق السلمان» وحتى النصاريات.

قبة رشيد: من الأحياء القديمة، نسبة إلى رشيد الحجيلاني والشائع أنها معروفة من قبله يقول برجس ابن مجلاد وقد عاش قبل رشيد الحجيلان:

هنيك يا قبة رشيد　　اللي بها حلو الطعام

وهـذا يدل على أنها مركز تجاري ومازالت إلى الآن وقد هدمت ودخلت ضمن توسعة سوق الخضار.

قصر العيدي: مزارع تقع شمال شرق الفائزية وشرق المتينيات على امتداد طريق الطرفية، وقد قامت فيه أحياء سكنية غير مخططة وعج بالسكان.

القصر العلو: من العلو، بناء قديم كان على تل من الرمل غرب بريدة زحف إليه الإعمار فأصبح من الأحياء السكنية الممتازة.

المنتزه: حي سكني جديد نسب إلى المنتزه المقام على طريق المدينة جوار القصور الملكية. ويمتد من المعهد الزراعي جنوبا إلى القصور الملكية شمالا ومن الشرق شارع المدينة، ومن الغرب «الخسف» ومخطط عين الأمير مشعل وقد أقيم على أحدث المخططات السكنية.

النازيـــة: من النزو، وهو الارتفاع حبل من الرمل يمتد من الشمال إلى الجنوب على امتداد شارع الخبيب من الضفة الشرقية وكان قديما مقر مخيمات الملك عبدالعزيز رحمه الله أثناء زيارته لبريدة ويعد الآن من أجمل الأحياء السكنية في بريدة.

الحي الجامعي: وهو مخطط أقامته البلدية ووزعته كمنح للجامعيين وبدأت العمارة فيه حديثا.

النازية الجنوبية، أو التغيره: وقد يسمى اقطاعات ابن مساعد، حي سكني شرق شارع الخبيب وجنوب مزارع ابن طويان.

النقع: شرق بريدة تفيض إليه مياه وادي «الودي» الذي تتجمع مياهه من البطين كان في السابق من الأحياء السكنية المنفصلة عن بريدة بمزارع وأراضي، ولكنه اليوم التحم في مخطط «غنامة» ومخطط «المطار القديم».

الوسيطاء: حي سكني يقع بين خط الرياض - بريدة، وخط بريدة - الهدية.

هذه بعض الأحياء السكنية المهمة ببريدة. وهناك أحياء سقطت سهوا استدركناها من بعض الإخوان وهي:

البقيشية: كانت في الأصل مزارع ثم تم تخطيط بعض جهاتها وإلى جوارها الاسكان.

حي البشر: شرق القصور الملكية وجنوب مخططات «القرعاوي» ويسمى المنتزه الشرقي.

حارة الدغاري: حي سكني قديم وقد عج به الإعمار وفيه مقر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وبعض المؤسسات الحكومية والتعليمية.

المطار القديم: شرق بريدة يخترقه طريق الشاحنات الذي يفصل بينه وبين مخطط «غنامة».

حي التعليم: شرق شارع الخبيب، من الأحياء التعليمية حيث توجد فيه منشآت تعليمية ومنشآت إدارية، من أهمها مقر الإمارة، والشرطة، والمطافىء، إلى جانب المدارس المتوسطة والثانوية، ومدارس تحفيظ القرآن الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

المطاء: ويسمى حي الملك فيصل. مخطط حديث يقع غرب بريدة وهو من أكبر الأحياء بعد الصفراء والفائزية وفيه مدارس ومرافق حكومية. وفي جهته الشمالية المقبرة المستعملة ومصنع التمور والمسلخ النموذجي العام.

حي الاسكان: هو مشروع إسكان بريدة ويقع شمال شرق بريدة وغرب الاستاد الرياضي وتبلغ الوحدات السكنية فيه ألف وحدة سكنية ويضم المشروع جميع المرافق والخدمات العامة.

المالكية: حارة تقع شرق بريدة نسبة إلى أصحابها المؤسسين لها.
حارة العوازم: حي جديد يقع غرب المطاء على الطريق الزراعي.
الحصباة: تتصل بحارة ابن صبيح . . . وتتصل بها حارة الربعة.
المعارض: حي المعارض. . . من الأحياء الجديدة ويعتبر منطقة تجارية.
ربيشة: نسبة إلى ملاكها وأصلها مزارع امتد إليها العمران فصارت حيا مسكونا.
النتقة: حي سكني صغير. . . مأخوذ من النتق وهو المنفذ في النفود والجبل.
الخزان: حي قديم. . . وكان يسمى حي البرقية، وقد تحول إلى موقع للهاتف ومواقف للسيارات ومازال آهلا بالسكان.
الصالحية: حي سكني يقع شرق جنوب المستشفى المركزي.
النبقية: حي سكني أقامه الوافدون على بريدة من القرى الشرقية.
الشفاء: امتداد لأحياء سكنية أعطاه الأهالي هذا الاسم.
الهلال: غرب العجيبة نسبة إلى موقع الهلال الأحمر.
جميعانة: مخطط جديد شمال بريدة على طريق المدينة المنورة.
اللابدية: مساكن للبادية ولم يخطط بعد قريب من النصاريات وسمتها البلدية «الربوة».
سلطانة: حي جديد شمال القصور الملكية بدأ الإعمار فيه حديثا.
البصيرية: على يمين طريق الوحدة الزراعية حي سكني حديث آهل بالسكان.
حي التليفزيون: جزء من مخطط الصفراء غرب الفندق وشرق البرج.
الجديدة: حي سكني آهل بالسكان قريب من حي السادة جنوب بريدة.

جغرافية السكان

تعد بريدة في مطلع القرن الرابع عشر من أكبر المدن النجدية وأكثرها في عدد السكان إذ قدر سكانها بعشرين ألف نسمة عام ١٣٣٦ بينما سكان الرياض في السنة نفسها تسعة عشر ألف نسمة[1] والملاحظ أن المدن الرئيسية تواجه نموا سكانيا يتشكل من عدة روافـد، و«بريدة» باعتبارها المدينة الثانية في المنطقة الوسطى بعد العاصمة «الـرياض»، وباعتبارها عاصمة منطقة القصيم. ومقر الحكم الإداري، والإدارات الرئيسية بالمنطقة. تواجه الحجم نفسه من هذا النمو، وروافد هذا النمو تؤزم مسئوليات قطاع الخدمات العامة كالبلديات، والتعليم، والصحة، والمرور، والمحاكم. ومن أبرز هذه الروافد:

ا ـ النمو الطبيعي الناتج عن التوالد:

وبريدة في هذا الرافد تفوق كثيرا من المدن، لظاهرة التعدد في الزواج، وللنظرة الدينية حول تحديد النسل.

ب ـ النمو عن طريق الهجرة:

والهجرة إلى بريدة تكون من الضواحي القريبة منها، ومن المقاطعات البعيدة، على المستوى المحلي، هذا بالإضافة إلى توافد العمالة البشرية من مختلف الدول.

وبما أن الإحصاء السكاني لم يكن من الدقة بحيث يمكن الإعتماد عليه إذ لم يصدر إحصاء رسمي، فإن البديل عن ذلك يتضح من خلال عدد المدارس الابتدائية التي تفوق الأربعين مدرسة للبنين داخل مدينة بريدة وقريبا من هذا العدد للبنات،

١) راجع كتاب «بريدة» للربدي ص ٣/١٣٤.

بالإضافة إلى التعليم الجامعي، والفني، والعسكري، والمتوسط، والثانوي. على أن هناك تقديرات تخمينية قدرها المؤرخون والرحالة والمستشرقون في فترات متفاوتة. وتقديرات شركات إستشارية للتخطيط أمثال البستاني ولويمر وفلبي ووهبة وترتشل وكحالة وشركة دوكسيادس(١).

ويمتاز أهالي بريدة بالتجارة والرحلة في طلب الرزق ومنهم عرف العقيلات، وفي الآونة الأخيرة جمع الأهالي بين التجارة والزراعة، هذا إذا استثنينا القطاع الحكومي وكم يستوعب من العمالة البشرية، والمؤسسات المعمارية، والشركات، والوكالات. أما بالنسبة للشباب والشابات فإن التعليم يحتل المركز الأول من حيث الأهمية، ولهذا لا تجد شابا أو شابة في سن الطلب إلا منصرفا بكليته للدراسة، وللتدليل على ذلك فالتعليم في بريدة قد حقق اكتفاء ذاتيا متكاملا بالنسبة لمدرسي المرحلة الابتدائية وشبه اكتفاء بالنسبة للمرحلة المتوسطة، والثانوية كما أن الإكتفاء في قطاع العمل الحكومي قد سبق التعليم.

وسكان مدينة بريدة خليط من قبائل شتى يجمعهم روح الدين القوي والمواطنة المخلصة، ويلفهم الإستقرار السياسي والإقتصادي تحت مظلة من الأخوة والصفاء الصادق. وينتمي أغلبهم إلى القبائل التي تسكن نجد ومن أشهرها قبيلة عنزة، وقبيلة مطير، وعتيبة، وحرب، وتميم، والدواسر، وقحطان، وشمر، والعجمان، وبنو خالد، والظفير، وبنو هاجر، والبقوم، وسبيع، وبنو جعده. ومع احتفاظهم بأصولهم إلا أن المسميات اختفت وتحولوا إلى أسر لها مسميات جديدة.

وخليط من أسر كبيرة لا تنتمي إلى أصول عربية، إما لأن التحضر أنساها أصولها وإما لأنها لا ترجع أساسا إلى أصول عربية.

وخليط من أسر كريمة وفدت إلى الجزيرة من إفريقيا وهذه احتفظت بلونها الأسمر. ويقوم الشيخ محمد العبودي بإعداد كتاب عن الأسر المتحضرة في بريدة وأصولها العربية وقد استفاد العلامة حمد الجاسر من المخطوطة في كتابه «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ومنه نقلنا «الأصول العربية للأسر المتحضرة في بريدة»(٢)

١) المرجع السابق ١/١٢٤.

٢) أسقطنا هذا الفصل اكتفاء بكتاب الشيخ العبودي.

دور بريدة العربي
(أو الأحداث التاريخية)

أشار الشيخ العبودي في معجمه إلى أن حادث عام ١١٠٩ هو أقدم حادث دونه التاريخ باستثناء شراء الدريبي مورد الماء المعروف بـ«بريدة» والعائد للهذال. وهذا الحادث سطو أمير عنيزة على بريدة ونهبها [1].

وذكر ابن بشر في سوابقه أنها سنة ١١٠٧ وذكر الجاسر في معجم الأنساب أنها سنة ١١٠٨ وفي سنة ١١٥٣ قتل حمود الدريبي أبناء عمه لاستئثارهم بالإمارة.

وفي سنة ١١٥٦ قتله أبناء عمه. ثم أخذ بثأره إبنه راشد.

وفي سنة ١١٨٢ غزا سعود بن عبدالعزيز بن محمد ومعه أهالي بريدة بلدة عنيزة.

وفي سنة ١١٨٤ سطا آل أبوعليان على راشد الدريبي ابن عمهم وأخرجوه منها.

وفي سنة ١١٨٨ حاصر عريعر الخالدي ومعه راشد الدريبي بريدة وأخذها عنوة.

وفي سنة ١١٨٩ غزا سعود بن عبدالعزيز بريدة ومعه أميرها السابق عبدالله بن حسن.

وفي سنة ١١٩٠ قُتل عبدالله بن حسن أمير بريدة في غزوة غزاها مع عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

وفي سنة ١١٩٦ نزل سعدون الخالدي أمير الاحساء بريدة وحاصر أهلها وكان أميرها آنذاك حجيلان بن حمد وحين عجز عن اقتحامها رجع إلى بلده.

---

١) جـ٢ ص٥٠٢ نقلا عن تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٧٩. وجاء الخبر مقتضبا في تاريخ ابن ربيعة بتحقيق د. عبدالله الشبل.

وفي سنة ١١٩٦ تم استيلاء حجيلان بن حمد على بلدة الشماس لمالأتهم الخالدي.

وفي سنة ١١٩٦ أغار أهل بريدة على بيت نصبه عبدالله بن رشيد للحرب.

وفي سنة ١٢٠٠ اعترضت جيوش حجيلان قوافل تجارية عائدة من البصرة وسوق الشيوخ فأخذوها.

وفي سنة ١٢٠١ غزا حجيلان بن حمد جبل شمر وأخضعهم للدعوة السلفية.

وفي سنة ١٢٠١ سار ثويني بن عبدالله آل شبيب من المنتفق إلى بريدة وحاصرها ولم يفتحها فرجع إلى بلاده.

وفي سنة ١٢٠٧ سار حجيلان بجيش القصيم يريد بني عمرو من حرب وقاتلهم وأخذ بعض مواشيهم.

وفي سنة ١٢٠٨ غزا أهل القصيم مع محمد بن عبدالله دومة الجندل ولعله وَهْمٌ من ابن بشر فالامارة يومئذ لحجيلان.

وفي سنة ١٢١٢ غزا حجيلان بن حمد بادية الشام وغنم منهم.

وفي سنة ١٢٣٤ أخذ ابراهيم باشا أمير بريدة حجيلان بن حمد معه إلى المدينة وتوفي فيها، وتولى الإمارة إبنه عبدالله.

وفي سنة ١٢٣٥ قتل رشيد بن سليمان الحجيلاني أمير بريدة عبدالله بن حجيلان وفي السنة نفسها قتلت العرفجية زوجة حجيلان قتلة ولدها[١].

وفي سنة ١٢٣٧ قُتل سليمان بن عرفج على يد عشيرته من آل أبي عليان ثم سطا عليهم ابنه فقتل منهم فهد بن مرشد من آل أبوعليان.

وفي سنة ١٢٤٣ عزل الإمام تركي بن عبدالله بن محمد أمير بريدة محمد بن علي ابن عرفج.

وفي سنة ١٢٥٧ حصلت معركة «بقعا» بين أهل القصيم وابن رشيد ووقع القتل على أهل القصيم فقتل جملة من أعيانهم وتجارهم. وقتل من أهل بُرَيْدَة أكثر من سبعين رجلا.

وفي سنة ١٢٦١ حارب أهل بريدة مع الإمام فيصل بن تركي.

١) ولها في ذلك شعر شعبي. وقيل فيها شعر شعبي يمثل شجاعتها.

وفي سنة ١٢٦٥ حصلت وقعة «اليتيمة» وقد هزم فيها أهل القصيم عامة أمام الأمير عبدالله الفيصل.

وفي سنة ١٢٦٦ قصد الأمير فيصل بن تركي بريدة فهرب أميرها عبدالعزيز بن محمد إلى مكة. واستعمل عليها عبدالمحسن بن محمد آل أبي عليان.

وفي سنة ١٢٧٥ عزل الأمير فيصل أمير بريدة وعين مكانه عبدالله بن عدوان من آل أبي عليان.

وفي سنة ١٢٧٦ قُتل أمير بريدة على يد أبناء عمه وعين الأمير فيصل مكانه محمد ابن غانم.

وفي سنة ١٢٧٧ قُتل عبدالعزيز بن محمد في الشقيقة. قتله عبدالله الفيصل مع بعض جماعته وهدم بيوتهم في بريدة.

وفي هذه السنة ١٢٧٧ أرسل الإمام فيصل عبدالرحمن بن إبراهيم إلى بريدة واستعمله أميرا فيها.

وفي سنة ١٢٧٨ حارب أهل عنيزة أهل بريدة ثم أخرجوا منها واستمرت المناوشات بين بريدة وعنيزة. فقد أرسل الإمام فيصل سرية مع صالح بن شلهوب إلى بريدة ليغير بهم على أطراف عنيزة، ثم جاءت سرية أخرى بعد إغارة أهالي عنيزة على بريدة بقيادة عبدالعزيز بن دغيثر وحصلت موقعة «رواق» وانتصر فيها أهل عنيزة.

وفي سنة ١٢٧٩ وبعد الأحداث الدامية وخاصة وقعة «المطر» عين فيصل محمد ابن أحمد السديري أميرا على بريدة وربط بإمارته سائر مدن القصيم، ونزل في قصرها المعروف فصلحت الأمور وانحسمت الشرور. وذلك بعد أن صالح الأمير فيصل أهل عنيزة عن طريق أميرها عبدالله بن يحيى آل سليم.

وفي سنة ١٢٨٠ عين الأمير فيصل سليمان الرشيد من آل أبي عليان أميرا على بريدة.

وفي سنة ١٢٩١ قُتل عبدالله بن غانم في بريدة لأنه أسهم في قتل عبدالله بن عدوان أمير بريدة سابقا.

وفي سنة ١٢٩٢ قُتل مهنا الصالح أمير بريدة قتله آل أبي عليان وطلبوا نصرة زامل بن سليم أمير عنيزة، لكن أهالي بريدة هدموا القصر بالبارود وقتلوا المتحصنين به.

وفي سنة ١٢٩٢ استولى حسن ال مهنا على إمارة بريدة.

وفي السنة نفسها قتل حسن المهنا عبدالمحسن وعبدالله ومدلج من آل أبي عليان لقيامهم بتنظيم سري.

وفي سنة ١٢٩٣ قدم الإمام عبدالله الفيصل بجنوده مع آل أبي عليان الهاربين من بريدة لفتحها وطرد آل مهنا منها فاستنفر حسن المهنا ابن رشيد لنصرته ولما علم الإمام عبدالله رجع من عنيزة إلى الرياض وبقي ابن رشيد في بريدة مدة ثم عاد إلى حائل.

وفي سنة ١٢٩٤ حصلت مناوشات بين أهل شقراء وأهل بريدة إذ أرسل حسن ابن مهنا سرية للإغارة على أهل الوشم.

وفي السنة نفسها اعترضت سرية حسن المهنا لأبناء آل أبي عليان العائدين من حائل لاستنفار ابن رشيد معهم فقتلوهم وكانت السرية بقيادة صالح بن علي آل أباالخيل ابن عم الأمير حسن بن مهنا.

وفي السنة نفسها - ١٢٩٤ - غزا محمد بن رشيد بادية عتيبة ومعه حسن بن مهنا وبلغوا إلى أشيقر وحرقوا نخيله.

وفي سنة ١٢٩٩ أنجد ابن رشيد أهل المجمعة ومعه حسن بن مهنا وأهل القصيم.

وفي سنة ١٣٠٠ وقعت معركة بين قبيلة عتيبة ومعهم محمد بن سعود بن فيصل. وبين ابن رشيد ومعه حسن بن مهنا وصارت الهزيمة على عتيبة وسماها ابن عبيد وقعة «عروى»[1] وفيها يقول ضيف الله بن حميد:

لولا حسن نَوَّخْ بذربين الإيمان   صارت عليكم يا أبوماجد كسيرة
أولاد علي مطوعة كل فسقان   عاداتهم هد الجموع الظهيرة

وقد يلاحظ القارىء كثرة القتل غيلة بين أمراء بريدة من آل أبي عليان. ولعل مرد ذلك أنهم كثروا وأصبحوا فروعا قوية وذات شوكة فالدريبي يمثل طائفة منهم، وآل حسن وزعيمهم عبدالله بن حسن يمثل طائفة أخرى ومنهم حجيلان وكذلك هناك

---

١) ص ١/٢٥٣ تذكره أولى النهى والعرفان.

طائفة ثالثة تدعى الحجيلاني، لعل منهم مقرن الحجيلاني الذي ذكرت وفاته. وسبب تطاحنهم أن آل حسن يميلون إلى آل سعود، والدريبي يميل إلى آل عريعر من بني خالد حكام الاحساء، وقد امتدت الحروب بسبب هذا الانشقاق في الأسرة بين آل سعود من جهة، وأمراء الاحساء من جهة أخرى وكان لأمراء عنيزة يد في تغليب كفة بعض أفراد الأسرة فحين طرد حمود الدريبي نفرا من آل حسن استنجدوا بأهل عنيزة فأنجدوهم.

ولما لم يتمكن آل أبي عليان من استتباب الأمن وكان ذلك في حدود عام ١٢٧٩ وفي عهد الإمام فيصل بن تركي أمر عليها عبدالرحمن بن إبراهيم، ثم محمد بن أحمد السديري وربط به سائر بلدان القصيم. ثم لما نقل السديري إلى الاحساء أعاد إلى آل أبي عليان الإمارة ولم تطل إمارته لخلافاته مع أهالي بريدة فعزله وأقام مكانه مهنا الصالح أباالخيل من قبيلة عنزة، لكن آل أبي عليان قتلوه، ولعل ذلك بدافع معارضتهم لنقل الإمارة منهم إلى أسرة أخرى ولم ينالوا من هذا القتل جدوى فانضم أهل بريدة إلى ابنه عبدالله بن مهنا وقتلوا القتلة. وتولى الإمارة حسن بن مهنا.

وبعد تولي عبدالله بن فيصل للحكم وبمساعدة أمراء عنيزة حاول آل أبي عليان العودة إلى إمارة بريدة.

وهذه بداية اتصال آل مهنا بإمارة حائل، وحين نفض آل عريعر أيديهم من القصيم، امتدت يد آل رشيد إليها، فكانت الحروب والغارات وفي هذه الأثناء ضعف أمر آل سعود وتنازعوا الحكم وعدا بعضهم على بعض حتى آل أمرهم إلى الرحيل من نجد إلى الكويت واستتباب الأمر لآل رشيد. وذلك بعد وقعة «المليدا» المشهورة والتي قتل فيها عدد كبير من أعيان بريدة.

وفي سنة ١٣٠١ حصلت وقعة «الحمادة» بين عبدالله بن فيصل، وابن رشيد ودخل المعركة حسن بن مهنا مع أهل بريدة في صف ابن رشيد، وفيها هزم الإمام عبدالله بن فيصل.

وفي سنة ١٣٠٤ شيد حسن بن مهنا قصر بريدة المشهور.

وفي سنة ١٣٠٧ انضم القصيم إلى عبدالرحمن بن سعود. فقدم ابن رشيد لمحاربتهم وكانت في السنة التي تليها وقعة المليدا المشهورة.

وفي سنة ١٣٠٨ اشترك أهل بريدة في وقعة المليدا في ١٢ جمادى الأولى وكان النصر لابن رشيد وفيها عين أميرا على بريدة اسمه حسين بن جراد وأخذ أميرها حسن ابن مهنا أسيرا.

وفي سنة ١٣١٨ قدم ابن صباح ومعه الإمام عبدالرحمن بن سعود إلى بريدة وعسكروا في خب العكرش. فرحب أهل بريدة بالإمام عبدالرحمن. وبعد انتصار ابن رشيد سجن أعيان بريدة وأثقلهم بالضرائب وتسمى معركة الطرفية[1]

وفي سنة ١٣٢٢ دخل الملك عبدالعزيز بجيشه بريدة وحاصر أميرها من قبل ابن رشيد عبدالرحمن بن ضبعان.

وفيها (أي سنة ١٣٢٢) حصلت وقعة البكيرية وفيها اشترك أهل القصيم وفيهم أهل بريدة، وهزمهم ابن رشيد وكان أهل القصيم بقيادة صالح الحسن المهنا ثم دارت الدائرة على ابن رشيد.

وفي سنة ١٣٢٣ مال صالح الحسن إلى ابن رشيد ضد ابن سعود.

وفي سنة ١٣٢٤ اشترك أهل القصيم مع ابن سعود في قتل بن رشيد في روضة مهنا.

وفي سنة ١٣٢٥ حصلت مناوشات بين ابن رشيد، وفيصل الدويش من جهة وبين ابن سعود من جهة أخرى، وكان أهل بريدة في هذه الأثناء يميلون لابن رشيد. وفيها حصلت وقعة الطرفية الصغرى، وبانهزام ابن رشيد ترك أخاه فيصلاً في بريدة ليكون عونا لأبي الخيل فيها. وفيها وقعة الصباخ بين ابن سعود وأهل بريدة.

في سنة ١٣٢٦ في ربيع الآخر دخل ابن سعود بريدة مصالحا أهلها بدون قتال وفيها رحل أميرها محمد اباالخيل إلى العراق، وفيها عين ابن سعود أميرا على بريدة هو عبدالله بن جلوي، وربط به سائر مدن القصيم.

وبعد هذا التاريخ لم يكن لبريدة كيان مستقل سياسيا أو عسكريا بل أصبحت من كبريات مدن المملكة، وارتبطت كأي مدينة أخرى تحت حكم الملك عبدالعزيز رحمه الله. وخاض أهلها تحت لوائه معارك التوحيد. ثم خاضوا معارك البناء والتشييد.

١) في هذه السنة صادر ابن رشيد أموال أهالي بريدة وأوجع الموسرين منهم أمثال بيت الربدي الذي صادر منه سبعين ألف ريال ترانس «مجلة العرب» ج ١-٢ س١٣ ص١٣٠ و«بريدة» ص ٢/٩٢.

أمـراء بـريـدة

أول من عرف أميرا لبريدة رجل من آل هذال من شيوخ عنزة وعنزة من أكبر القبـائل العربية القائمة وتنتشر بطونها في الشمال من نجد إلى الحجاز فالحماد فوادي السرحـان فالبـادية السورية والخليج. واشتهر من هذه القبيلة ثلاثة بطون «مسلم» «وائل» و«عبيد». ومن هذه القبيلة آل سعود، وأمراء الخليج، وآل مهنا أمراء بريدة.

وبعد إمارة آل هذال من عنزة انتقلت الإمارة إلى بني تميم، وذلك بانتقال راشد العنقري التميمي من آل ابوعليان إلى بريدة وسكناه بها بعد أن اشترى مورد الماء من آل هذال وأغلب الظن أن موقع هذا المورد في البوطة أو الشقيرى لأن المدينة نشأت من هذه الجهة. وعرف من أسر آل أبوعليان المتصارعة على السلطة. أسرة الدريبي، ومنهم راشـد الأول وحمـود وراشـد الثاني. وأسرة الحجيلاني، ومنهم مقرن الذي توفي سنة ١١١٧ ورشيد، وسليمان بن رشيد وأسرة آل حسن، وتُسمى فيها بعد بآل عدوان وآل ابـوخشرم ومنهم عبدالله، وعبدالله بن محمد، وعبدالعزيز بن محمد، وعبدالمحسن، وعبدالله بن عبدالعزيز. وأسرة حجيلان بن حمد، وهي منسجمة ومتآزرة مع آل حسن. ومن هذه الأسرة حجيلان، وابنه عبدالله. وأسرة آل عرفج ومنها سليمان ومحمد، وكل هذه الأسر تنازعت الإمارة وصراعها جعل بريدة ميدانا للصراع العسكري الدائم، وهذا الصراع حملهم على اللجوء إلى أمراء الدرعية والاحساء وحائل وعنيزة. فيأتي هؤلاء الأمراء بجيوشهم إلى بريدة ومعهم من نفي من آل ابوعليان على يد أبناء عمومتهم فتارة يأتي أمراء آل سعود من الدرعية وتارة يأتي عريعر بن دجين الخالدي من الاحساء وتارة يأتي ثويني بن عبدالله من المنتفق.

وبعد أن ذهبت ريح أولئك ولم يعد بالإمكان استتباب الأمر في ظل إمارة واحد منهم بدأت الأنظار تتجه إلى من تتوفر فيه القوة والحكمة.

فانتقلت إمارة بريدة إلى آل مهنا من عنزة، ولا أستبعد أن يكون آل مهنا من سلالة آل هذال فكلهم من عنزة وبهذا تعود إمارة بريدة إلى أهلها بعد مشوار طويل.

وبعد توحيد المملكة لم تكن إمارة بريدة أسرية كما هي في بعض مدن القصيم لعدة أسباب من أهمها أن بريدة أصبحت عاصمة للقصيم وهنا لابد أن يكون أميرها من المنصوبين من قبل الوالي، ولأنها كانت إذاك زاخرة بالأسر التي تتطلع إلى الإمارة فآل مهنا، وآل ابوعليان مازال أفراد منهم في مستوى المسئولية، وحكمة الملك عبدالعزيز وحرصه على القضاء على الفتن جعله يوسع قاعدة الإمارة ويضم إليها مدن وقرى القصيم ويضع فيها من رجاله الأشداء أمثال ابن جلوي وابن مساعد والسديري.

وسبب مجيء آل أبوعليان لبريدة واستقرارهم فيها وتولي إمارتها بعد ابن هذال، ما حصل لهم في مدينتهم ثرمدا من حروب وقعت بين العناقر وبعد استقرارهم انتقلت ذيول المشكلة معهم. فالإمارة كانت لراشد الدريبي ثم آلت بالقوة لآل الحجيلاني من آل ابوعليان. حتى أقدم حمود بن عبدالله بن راشد التميمي من آل أبوعليان على الفتك بأسرة الحجيلاني ويروي التاريخ أنه قتل منهم في مسجد بريدة ثمانية وذلك في عام ١١٥٥ أو ١١٥٣هـ وبعد ذلك آل الأمر إلى آل حسن من آل ابوعليان، ثم عاد مرة أخرى إلى أسرة الحجيلاني من آل ابوعليان، ثم كان أخذ العرفجية بالثار سببا لانتقال الإمارة إلى آل عرفج، وهكذا نجد الصراع بين أسر آل أبوعليان قائما على أشده. وحين آلت الإمارة من بعدهم إلى آل مهنا وجدت الأسرة ملاذا عند أمراء عنيزة لتنظيم الثورات والحركات وهذا من الأسباب القوية التي أطالت الخلاف بين بريدة وعنيزة إبان الفتن القائمة في نجد، فكان آل سليم أمراء عنيزة يميلون مع آل أبوعليان ضد آل مهنا في حين يميل آل مهنا إلى آل سعود في بادىء الأمر، ومن ثم مال آل سليم إلى ابن رشيد في حائل ومال معهم آل أبوعليان، والحروب التي حصلت بين بريدة وعنيزة في فترة إمارة آل مهنا مردها إلى لجوء آل أبوعليان إلى أمراء عنيزة وتربصهم الدوائر بآل مهنا، وقد حصلت حروب طاحنة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحين مال بعض أمراء آل سعود إلى آل أبوعليان وفكروا في إرجاع الإمارة إليهم ثار آل مهنا. . . ومالوا إلى ابن رشيد في حائل، وكانت الخلافات آنذاك قد وقعت بين أبناء فيصل بن تركي واستمر آل مهنا بعد عودة الملك عبدالعزيز يميلون إلى ابن رشيد في حين بدأ أهالي بريدة يميلون إلى ابن سعود، وكان هذا إيذانا بنهاية إمارة آل مهنا وانضمام بريدة إلى حكم آل سعود وتقلص نفوذ ابن رشيد. ثم عاد الجميع جنودا مخلصين مع مؤسس المملكة العربية السعودية يأتمرون بأمره ويقدمون أنفسهم وأموالهم لخدمة القائد الذي اجتمعت به الكلمة وحسمت الخلافات وانطفأت نار الفتنة.

من هذا السرد التاريخي يتضح أن راشد الدريبي وجماعته من بني تميم نزحوا من ثرمدا ونزلوا بريدة، ومن ذلك التاريخ بدأت الأحداث تدون، وتعاقبوا على إمارتها ثم بدأ الإنشقاق فيما بينهم. وعلى إثر هذا الإنشقاق والتحزب قامت بينهم ثورات وحروب وفشا الإغتيال والسطو.

ثم انتقلت الإمارة إلى آل مهنا من قبيلة عنزة، وبانتقال الإمارة من قبيلة إلى أخرى زادت حدة الصراع وانتقال الإمارة إلى آل مهنا لأسباب منها:

١) ضعف شوكة آل أبي عليان وذهاب ريحهم بسبب الصراع فيما بينهم.

٢) نفوذ آل سعود وميلهم إلى هذه الأسرة في بادىء الأمر.

٣) سمعة أباالخيل وتمكنه من قلوب الأهالي وثرائه.

٤) حرص أهالي بريدة على الهدوء والإستقرار لأنهم أصحاب تجارة وزراعة.

وبعد ذلك حاول الإمام عبدالله بن فيصل إعادة الإمارة إلى آل أبي عليان الأمر الذي دفع أباالخيل إلى جر قدم ابن رشيد للصراع، وبالتالي إنهاء إمارة آل أبي الخيل، وتحويل إمارة بريدة من الوراثة الأسرية إلى التكليف والتعيين من الولاة، وهم آل سعود. وذلك في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله. ففي عام ١٣٢٦هـ تم تعيين الأمير عبدالله بن جلوي أميرا للقصيم مقره بريدة ومن ذلك التاريخ حسم دابر الخلافات.

وبالرجوع إلى كتب التاريخ المتداولة أمكن الحصول على هذه القائمة بأمراء بريدة:

ما قبل عام ٩٨٥هـ كانت بريدة لآل هذال. ولم تكن ذات شأن يذكر لأن التاريخ لم يدون قبل هذا التاريخ شيئا عنها ثم هي كانت تابعة لبلدة «الشماس» ولأمرائها من الوداعين.

عام ٩٨٥ - أو ٩٤٥ راشد الدريبي من العناقر من تميم. وهو الذي اشترى من ابن هذال موقع بريدة. وفي الفترة من وفاة راشد إلى عام ١١١٧ تعاقب أمراء لم يعرض لهم التاريخ.

عام ١١١٧ ذكرت وفاة مقرن الحجيلاني من آل أبي عليان ثم خلف من بعده أمراء لم يذكرهم التاريخ.

عام ١١٥٣ حمود بن عبدالله الدريبي وصل إلى الإمارة بعد قتل أبناء عمه الثمانية.

عام ١١٥٤ راشد بن حمود الدريبي ثم طرده أبناء عمه وتولاها آل حسن من أبوعليان.

عام ١١٨٢ عاد إلى الإمارة راشد الدريبي بعد الحرب مع عنيزة.

عام ١١٨٤ عبدالله بن حسن من آل أبي عليان بعد سطوه على راشد الدريبي وطرده.

عام ١١٨٨ راشد الدريبي وصل إلى الإمارة مستنجدا بعريعر الخالدي.

عام ١١٨٩ عبدالله بن حسن عاد إليها بمساندة سعود بن عبدالعزيز.

عام ١١٨٩ عاد راشد الدريبي.

عام ١١٩٠ حجيلان بن حمد من آل أبي عليان وقد قويت الشوكة في هذه الفترة.

عام ١٢٣٤ عبدالله بن حجيلان بن حمد من آل أبي عليان بعد غزو الأتراك لبريدة وأخذ أميرها حجيلان.

عام ١٢٣٥ رشيد بن سليمان الحجيلاني وصل الإمارة بعد قتله عبدالله بن حجيلان ثأرا لأبيه سليمان.

عام ١٢٣٥ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن حسن تولى الإمارة بعد أن قتلت العرفجية رشيد، قتله عساكر الأتراك.

عام ١٢٣٦ سليمان بن عرفج. قتل على يد أبناء عمه.

عام ١٢٣٧ فهد بن مرشد من آل ابوعليان وقد قتله محمد بن عرفج.

عام ١٢٣٧ محمد العلي العرفج تولى الإمارة عدة مرات وقتل عام ١٢٥٨ هـ بعد عزله.

عام ١٢٤٣ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن حسن من آل أبي عليان.

عام ١٢٦٦ عبدالمحسن بن محمد بن عبدالله من آل أبي عليان بعد هروب أميرها عبدالعزيز.
عام ١٢٦٧ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله من آل أبي عليان.
عام ١٢٧٥ عبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان من آل رشيد أبي عليان ومات قتيلا وهو الذي أنشأ مزارع التغيرة.
عام ١٢٧٦ محمد الغانم من آل أبي عليان تولى الإمارة بعد قتل أميرها السابق.
عام ١٢٧٦ عبدالعزيز محمد بن عبدالله للمرة الثالثة ومات قتيلا في الشقيقة.
عام ١٢٧٧ عبدالرحمن بن إبراهيم من قبل بن سعود.
عام ١٢٧٩ محمد بن أحمد السديري من قبل بن سعود ثم نقل أميرا على الاحساء.
عام ١٢٨٠ سليمان الرشيد من آل أبي عليان من قبل ابن سعود وهو آخر أمير من آل ابوعليان.
عام ١٢٨٠ مهنا الصالح أباالخيل من قبيلة عنزة وقد قتل غيلة على يد آل أبي عليان.
عام ١٢٩٢ حسن بن مهنا الصالح أباالخيل استعاد الإمارة وشيد قصر بريدة.
عام ١٣٠٨ حسين بن جراد من قبل ابن رشيد بعد أسر أميرها حسن بن مهنا.
عام ١٣١٠ حمود الصالح الزيد من قبل ابن رشيد ثم عزله.
عام ١٣١٥ سعد الحازمي من قبل ابن رشيد ثم عزله عبدالعزيز بن متعب.
عام ١٣١٦ فهد بن محمد القويعي من قبل بن رشيد ثم عزله.
عام ١٣١٨ سعد الحازمي للمرة الثانية من قبل ابن رشيد.
عام ١٣١٨ سالم السبهان من قبل ابن رشيد.
عام ١٣٢١ عبدالرحمن بن ضبعان من قبل بن رشيد وقد عزله ابن سعود بعد الاستيلاء على بريدة.
عام ١٣٢٣ صالح بن حسن المهنا.
عام ١٣٢٤ محمد بن عبدالله المهنا أباالخيل من قبل عبدالعزيز بن سعود.
عام ١٣٢٥ أحمد بن محمد السديري.
عام ١٣٢٦ عبدالله بن جلوي أميرا لمقاطعة القصيم بعد رحيل أميرها أباالخيل إلى العراق.
عام ١٣٣١ فهد بن معمر أميرا لمقاطعة القصيم.

عام ١٣٣٧ عبدالعزيز بن مساعد أميرا لمقاطعة القصيم [قبل فتح حائل]. *
عام ١٣٣٨ مبارك المبيريك أميرا لمقاطعة القصيم.
عام ١٣٤١ عبدالعزيز بن مساعد أميرا لمقاطعة القصيم.
عام ١٣٤٢ مبارك المبيريك أميرا لمقاطعة القصيم.
عام ١٣٤٦ مشاري بن جلوي أمير لمقاطعة القصيم.
عام ١٣٤٩ تركي بن ذعار أميرا لمقاطعة القصيم.
عام ١٣٥١ مبارك المبيريك أميرا لمقاطعة القصيم.
عام ١٣٥٤ عبدالله بن فيصل آل فرحان أميرا لمقاطعة القصيم.
عام ١٣٦٦ عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد أميرا لمقاطعة القصيم.
عام ١٣٧٥ محمد بن بتال أميرا لمقاطعة القصيم.
عام ١٣٧٨ سعود بن هذلول أميرا لمقاطعة القصيم.
عام ١٣٨٢ فهد بن محمد بن عبدالرحمن أميرا لمنطقة القصيم.
عام ١٤٠٠ عبدالاله بن عبدالعزيز آل سعود أميرا لمنطقة القصيم.

رحم الله الأموات، وشكر الله للأحياء، وسدد على طريق الحق والتوفيق خطى صاحب السمو الملكي الأمير ـ الحالي ـ عبدالاله بن عبدالعزيز. وجعله مباركا أينما كان، وحقق على يده الأمن، والرخاء، والاستقرار. لكل مدن وقرى وهجر القصيم في ظل حكومتنا الرشيدة.

آل أبوعليان

يرجع «آل ابوعليان» إلى العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم خرجوا من ثرمدا في أعقاب الحروب التي وقعت بين العناقر في «ثرمدا» وفي «مرات» حول الزعامة. كان خروجهم في القرن العاشر وطوفوا في البلاد بحثا عن مسكن لهم فأقاموا في «ضرية» ولما لم يحل لهم المقام بحثوا عن مكان آخر. وكانت «بريدة» إذاك وسط مجموعة من المزارع تحت كثيب من الرمل خصبة الأرض ثرة العطاء وارفة الظلال تمتد من البوطة والشقيرى وما جاورهما إلى أثل العبودي شمالا. وتمتد من الجنوب حتى بداية الصباخ. وقد حدد العبودي موقعها بما لا يطلب المزيد. وربما كانت هذه المجموعة أو بعضها تحت إمرة ابن هذال من شيوخ عنزة إذ كان أميرا لهذه المزارع ويظهر أنهم اشتروا منه أحد هذه المزارع وسكنوا ووفد عليهم من أبناء عمومتهم من تميم بالذات ما كثر سوادهم لارتباطهم بها ولخصوبة تلك الأرض ووفرة مائها وركونها لآل شماس وهي إمارة قوية تحميها من عوادي الزمن إذ كانت تلك المزارع ترجع إلى إمارة الشماس وتدفع زكاتها لآل شماس من الوداعين من الدواسر. وحين كثر آل ابوعليان وقويت شوكتهم بدأوا يفكرون بالاستقلال وتفريق زكواتهم على فقرائهم. وجاء توسطهم بين إمارة الجناح وإمارة الشماس سببا في حدوث مناوشات بينهم وبين آل فضل وآل شماس ولكنهم فرضوا وجودهم ودخلوا حلبة التاريخ الحديث.

ولما ولي حجيلان بن حمد كان له أعداء من أبناء عمومته ومن آل شماس وآل سليم فمد يده إلى الدرعية فقوي بها وأنهى خصومه الذين استعدوا عليه أمراء الاحساء، ولما فشلت حملة عريعر بن دجين صمم حجيلان على حرب الشماس وهدمه والقضاء على

إمـارة آل شماس فكـان له ذلـك ثم فعـل مثل ذلك بإمارة عنيزة بمساندة سعود بن عبدالعزيز فدانت له القصيم حتى جاء ابراهيم باشا الذي هدم الدرعية وأخذ معه حجيلان بن حمد ولم تقم لآل أبوعليان بعد ذلك قائمة وإن طال حكمهم.

وبعد زوال حكمهم على يد آل مهنا وزوال حكم آل مهنا على يد ابن سعود بقيت أسر كثيرة يرجع نسبها إلى هذه الأسرة كـ«آل بكر» و«آل جارالله» من العجلان و«آل حجيلان» وفي بريدة أسر تعرف بالحجيلان يرجعون إلى عنزة وإلى الوداعين من الدواسر ويدعـون آل مدالله. و«آل حسـون» و«الحميدة» و«الحميضي» في بريدة. وفي عنيزة يرجعـون إلى آل ابـوعليان و«آل ابـوخشرم» من العدوان من آل ابوعليان و«الخضر» المشهور أنهم متفرعون من أسرة آل ابوعليان و«الدباسي» يقولون إنهم من آل ابوعليان ويقول العبودي في مخطوطته ـ معجم أسر القصيم ـ كما نقل العلامة حمد الجاسر «ولم أجد كبار السن من آل ابوعليان يؤيدون ذلك. إلا أن أحد العارفين من غيرهم أكدوا ذلـك وذكـر أنهم من «الصاعَيْن» تثنية صاع ولهم حكاية مع حجيلان بن حمد حين استعداه آل أبوعليان على بني عمومتهم وكان آنذاك عند أخواله التواجر في «الطرفية» و«الدخيل» من أهل السادة ويميزون عن غيرهم من الدخيل باسم «المصاريع» وهم غير آل دخيل الذين يرجعون إلى الدواسر والذي منهم سليمان الصالح الدخيل المؤرخ والصحفي المشهـور. و«الـدريبي» في ثرمـداء وفي بريدة وفي الهـلالية كلهم من آل ابوعليان يرجعون إلى حمود الدريبي الذي تولى إمارة بريدة عام ١١٥٣هـ بعد ما قتل أبناء عمه من آل حسن في مسجد بريدة. و«الراشد» منسوبون إلى راشد الدريبي وهم غير آل راشد الذين يرجع لهم آل فوزان وآل حمد فهؤلاء من الروقة من عتيبة وهؤلاء يلتقون مع آل فهيد أمراء الأسياح. و«الرشيد» يرجعون إلى رشيد بن سليمان الحجيلاني الذي نسبت إليه قبة رشيد في بريدة. وقد تكون القبة أنشئت قبل ذلك أو نسبت إلى جده لأنها ذكرت في شعر عامي قبل هذا التاريخ وهم غير الرشيد العمرو الذين يعودون إلى العمرة من الظفير وهؤلاء أبناء عم لآل مزيد في بريدة وعنيزة والبكيريّة و«الزومان» من أهل«وهطان» يقال لهم (أهل نقرة طنة) تمييزا لهم عن الزومان الآخرين.

و«السابح» من أهل القويع من آل عبدالرحيم الذين هم آل حسن بن محمد بن عليان من آل أبوعليان. و«السلامة» وتسميتهم ترجع إلى أواخر القرن الثاني عشر عندما أراد

حجيلان ومن معه من آل حسن الهجوم على راشد الدريبي لانتزاع الإمارة منه فغلبوا السلامة على السطو فسموا بـ«السلامة» هكذا يقول العبودي في معجمه. كما سميت نقـرة «القـويطير» نقـرة الصـاعين لأنهم اعتزلوا حجيلان قبل السطو. وقد ذكر هاتين القصتين الشيخ العبودي في معجمه. و«السلطان» فرع من العرفج من ال أبوعليان. و«الطرباق» و«العبدالرحيم» وأقرب الفروع إليهم من آل أبوعليان «السابح» والعَبُّود بتضعيف الباء من أهل السادة و«العجلان» ويقال لهم العجلان الحسن وقد يقال لهم الجارالله. وكل هؤلاء يرجعون إلى آل ابوعليان وهم غير آل عجلان الذين يرجعون إلى آل سرحان من عنزة والذين منهم الشيخ ابراهيم العجلان المتوفي في عام ١٣١٧هـ و«آل عدوان» ويرجعون إلى عبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان من آل أبوعليان الذي تولى إمارة بريدة عام ١٢٧٥هـ و«العدوان» فرع قديم من أسرة آل أبوعليان و«آل عرفج» منهم الشاعر الشعبي المشهور محمد العلي العرفج ومنهم العرفجية لؤلؤة بنت عبدالله العرفج صاحبة الثأر المشهورة والتي افتخر ببطولاتها بعض أمراء حائل. و«العليان» يرجعون إلى الحسن من آل أبـوعليان. و«العمـيريني» من أهـل القصيعة من أسرة آل ابوعليان. و«الغانم» وينتمون إلى الحسن من آل أبوعليان. وهم غير الغانم الذين جاءوا من عين ابن فهيد من الأسياح فهؤلاء يقال لهم «اللهاقي» من السعيد من الظفير. وغير الغانم الـذين جاءوا إلى الشماسية من حائل. و«الفريحي» و«القعير» و«المدلج» يرجعون إلى عبدالمحسن بن مدلج الذي قتل عبدالله آل غانم سنة ١٢٩١ هـ لأنه اشترك في قتل عبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان أمير بريدة ١٢٧٦هـ «والمذهان» في الصباخ من الغانم والغانم من الحسن الذي ينتمي إليهم حجيلان بن حمد والذين اختصموا مع الدريبي من بني عليان و«آل مرشـد» من آل نصـار ثم من آل حسن رهط حجيلان بن حمد يرجعون إلى فهد بن مرشد الذي تولى إمارة بريدة أو زعامتها عام ١٢٣٧هـ بعد قتل سليمان بن عرفج وهم غير آل مرشد أهل القصيعة فهؤلاء من الفضول من بني لام من طي. و«النصار» من أهل الصباخ و«اليحيا» من وهطان المشهور أنهم من آل ابوعليان. وكبار السن من الأسرة ينفون ذلك. والمعتمد أنهم يرجعون في نسبهم إلى بني تميم.

هذه أبرز الأسر التي ترجع إلى هذه الأسرة العريقة في تاريخها وأعمالها وأمجادها. وما يقال عنها من سطو وغدر وقتل مرده إلى حالة نجدوما اعتراها من فوضى فحين حكم

آل سعود وتعاون معهم حجيلان بن حمد نعمت بريدة بالاستقرار والقوة والرخاء ولم تحدث القلاقل والقتل إلا بعد رحيل حجيلان وهدم الدرعية.

قضـاة بريـدة

بقدر ما واجهت من صعوبة في حصر أمراء بريدة حين لم أسبق لذلك واجهت ضِعْفَ ذلك في تعقب قضاة بريدة ومما زاد الأمر تعقيدا اختلاف الرواة مع عدم عنايتهم بهذا الجانب.

وقد حاولت أن أعرف أول قاض تزامن مع ذكر أحداث بريدة فما ظفرت بشيء من ذلك. وكان أول قاض ذكره المؤرخون هو عبدالعزيز بن سويلم ولا أستبعد أن يكون هناك أئمة مساجد ومعلمو صبيان وفقهاء ومفتون يتولون المهمة الدينية من إمامة وتعليم وإفتاء وقضاء وإرشاد وغير ذلك. وأملي أن أجد من يتعقب هذا الحصر فيضيف أو يصحح والله المستعان. . . وهذه نبذة مختصرة عمن ولي قضاء بريدة:

١ ـ عبدالعزيز بن سويلم بن عبدالعزيز العريني. من سبيع ولد في الدرعية. قال عنه ابن بشر ١/١١٤ وهو يتحدث عن العلماء الذين أخذوا عن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله «وأخذ عن الشيخ أيضا الشيخ العالم عبدالعزيز بن سويلم». وصل إلى «بريدة» بعد عودة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود من القصيم سنة ١١٨٣هـ وهي السنة التي اتجه فيها عبدالعزيز إلى بلدة «الهلالية» وفي تاريخ ابن غنام بتحقيق ناصر الدين الأسـد ص ١٣٤ فوفـد عليه أكثر أهل القصيم فدخلوا في الإسلام. . . ثم قال: «ووضع عندهم معلمين يعلمونهم التوحيد والشرائع والأحكام».

وقال ابن بشر عنه ١/١١٤: «. . . القاضي في ناحية القصيم زمن عبدالعزيز وابنه سعود، وابنه عبدالله» ويظهر أنه خرج من بريدة بعد عام ١١٨٨هـ وهي السنة

التي هجم فيها عريعر بن دجين على بريدة وأخذ أميرها عبدالله بن حسن. وأمَّر مكانه راشد الدريبي ثم عاد إليها مرة ثانية.

تولى الإمـامة والخطابة والقضاء في جامع بريدة وزامن إمارة حجيلان بن حمد وابنـه عبـدالله بن حجيلان وسليمان بن عرفـج ومحمـد بن علي بن عرفج وأول إمارة عبدالعزيز بن محمد. وفي أول إمارته توفي وذلك عام ١٢٤٤هـ وهي المدة التي كانت فيها بريدة تابعة للدرعية في إمارة عبدالعزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود وحفيده عبدالله.

وممن تلقـوا العلم عليه عبـدالله بن صقيه من قضاة بريدة. وأسرة آل سويلم المقيمة في بريدة من عقبه.

٢ ـ قرناس بن عبدالرحمن بن قرناس بن حمد بن علي بن محمد من قبيلة العجمان. ولد في صبيح عام ١١٩٠هـ. أخـذ العلم عن عبـدالعـزيز بن محمـد بن رشيد ثم على عبدالعزيز بن سويلم ورحل إلى الدرعية سنة ١٢١٦هـ وأخذ عن أبناء الشيخ وغيرهـم. تقلب في عدة مناصب. عين قاضيا على القصيم كله بعد عام ١٢٣٢هـ.
يقول ابن بسام في كتابه «علماء نجد» ص٣/٧٦٦ «فرجع ـ قرناس ـ إلى وطنه الرس» أي بعد ١٢٣٢هـ «وصار قاضيا على القصيم كله إلى أن تولى الإمام فيصل بن تركي . . . فمن ذلك انفصلت بريدة عن ولايته حينما ولي قضاءها تلميذ قرناس الشيخ عبدالله بن صقيه».

ويظهر لي من هذا السياق أن الصقيه كان قاضيا بالنيابة في بريدة تابعا لقرناس بالـرس وقـاضيا مستقلا بعد تولي فيصل بن تركي لبريدة. قال ابن بشر ٢/٧٦ في أحداث ١٢٤٩هـ وهو يسرد قضاة الأقاليم «وعلى القصيم قرناس».

٣ ـ عبدالله بن صقيه الوهبي التميمي رحل ذووه من أشيقر. طلب العلم على قاضي بريدة عبدالعزيز بن سويلم وعلى الشيخ قرناس بن عبدالرحمن. ولي قضاء بريدة نيابة

عن الشيخ قرناس عام ١٢٤٤هـ إلى عام ١٢٥١هـ في أول إمارة عبدالعزيز بن محمد بن عبـدالله بن حسن. واستمـر قاضيا بالأصالة من عام ١٢٥١هـ إلى أن توفي في مكة المكرمة عام ١٢٥٦هـ.

٤ ـ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالله أبابطين. ولد عام ١١٩٤هـ في روضة سدير. قرأ على قاضيها محمد بن طراد الدوسري وعلى قاضي شقراء عبـدالعـزيز الحصين ثم رحل إلى الدرعية وقرأ على علمائها. تقلب في عدة مناصب قضائية من عام ١٢٢٠هـ. تولى قضاء عنيزة عام ١٢٤٨هـ قال ابن بشر في حوادث ١٢٥١هـ طلب رؤسـاء القصيم من الإمـام فيصـل أن يبعث الشيخ عبـدالله بن عبدالرحمن أبابطين قاضيا في بلدانهم . . . فسار إليهم . . . واستوطن عنيزة. وفي عام ١٢٧٠هـ غادر عنيزة بعد أحداث داخلية وأقام في بريدة . . . ثم غادرها إلى شقراء وتوفي عام ١٢٨٢هـ وله مؤلفات قيمة «راجع علماء نجد ص ٢/٥٦٧». لقد تبعه قضاء بريدة في الفترة ما بين عام ١٢٥٦هـ وهي السنة التي توفي فيها الشيخ عبدالله الصقيه. وعام ١٢٦٥هـ وهي السنة التي تولى فيها الشيخ سليمان المقبل قضاء بريدة.

٥ ـ سليمان بن علي بن مقبل ولد عام ١٢٢٠هـ وأخذ العلم عن الشيخ قرناس وأبابطين ورحل إلى الشام مرتين وأخذ عن علمائها. ولي قضاء بريدة عام ١٢٦٥هـ ومكث أكثر من ٣٠ سنة ثم سافر إلى مكة للحج عام ١٢٩٦هـ وجاور فيها واعتزل القضاء وتوفي عام ١٣٠٤هـ.

٦ ـ محمد بن عمر بن سليم ولد عام ١٢٤٥هـ ولي القضاء في بريدة نيابة عن الشيخ سليمان بن علي بن مقبل أثناء مجاورته في مكة عام ١٢٩٦هـ إلى عام ١٣٠٣هـ. وحين طلب الشيخ سليمان الإعفـاء من القضـاء عام ١٣٠٣هـ أشـار بالشيخ محمـد بن عبدالله بن سليم وأعفي من القضاء مع إعفاء شيخه. توفي رحمه الله سنة ١٣٠٨هـ أثناء وقعة المليدا.

٧ ـ محمد بن عبدالله آل سليم ولد سنة ١٢٤٠هـ ورحل إلى الرياض لطلب العلم على الشيخ عبدالرحمن بن حسن. ولي القضاء بمشورة وتوجيه من الشيخ سليمان بن مقبل

عام ١٣٠٤هـ واستمر في القضاء إلى أن عزله ابن رشيد بعد وقعة الطرفية عام ١٣١٨هـ فرحل إلى النبهانية لميله إلى آل سعود ضد آل رشيد وعاد بعد ذلك وتوفي رحمه الله عام ١٣٢٦هـ وقيل ١٣٢٤هـ وقيل ١٣٢٣هـ.

٨ ـ صالح بن قرناس بن عبدالرحمن بن حمد بن علي. ولد عام ١٢٥٣هـ طلب العلم على أخيه محمد وعلى آل سليم وعلى سليمان بن مقبل وعلى الشيخ علي آل محمد قاضي عنيزة ورحل إلى الرياض عام ١٢٨٢هـ وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن وغيره.

ولي عدة مناصب قضائية في الرس وبريدة وعنيزة وربط قضاؤهما به وربما كان ينوب عنه في بريدة وعنيزة من علمائها. عينه عبدالعزيز بن رشيد على قضاء بريدة عام ١٣١٨هـ بعد أن عزل الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم واستمر يلي قضاء بريدة مضافا إليه حتى عام ١٣٢٢هـ. توفي رحمه الله عام ١٣٣٦هـ.

٩ ـ عاد إلى القضاء مرة ثانية الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم إلى عام وفاته سنة ١٣٢٤هـ أو ١٣٢٣هـ.

١٠ ـ ابراهيم بن حمد بن جاسر. ولد في بريدة وقرأ على علمائها من آل سليم وابن عجلان وكان حافظة ورعا تقيا. ولي قضاء بريدة عام ١٣٢٤هـ إلى عام ١٣٢٦هـ وتوفي رحمه الله عام ١٣٣٨هـ.

١١ ـ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن ناصر بن حسن بن بشر. ولد في الرياض عام ١٢٧٥هـ. تلقى العلم على مشائخ الرياض ولاه الملك عبدالعزيز قضاء بريدة عام ١٣٢٧هـ واستمر عامين فقط ثم عزله عام ١٣٣٠هـ ليوليه قضاء الاحساء فالرياض وتوفي رحمه الله عام ١٣٥٩هـ

١٢ ـ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليم. ولد عام ١٢٨٥هـ تلقى علومه على آل سليم وآل الشيخ بالرياض. وعين قاضيا في البكيرية عام ١٣٢٢هـ ثم عينه الملك عبدالعزيز رئيسا لقضاة القصيم وقاضيا في بريدة عام ١٣٣١هـ وبقي في هذا المنصب حتى وفاته عام ١٣٥١هـ.

١٣ ـ عمر بن محمد بن عبدالله بن حمد بن محمد بن صالح آل سليم. ولد عام ١٢٩٩هـ. طلب العلم على والده وجلس للفتيا في سن مبكرة. تولى قضاء الأرطاوية عام ١٣٣٠هـ حتى عام ١٣٣٧هـ وحين توفي أخوه عبدالله عام ١٣٥١هـ ولاه الملك عبدالعزيز قضاء بريدة إلى أن وافاه الأجل عام ١٣٦٢هـ رحمه الله.

١٤ ـ محمد بن عبدالله بن حسين بن صالح أباالخيل. ولد عام ١٣٠٨هـ. طلب العلم على آل سليم. ولي قضاء عنيزة عام ١٣٦٠هـ. ولما توفي الشيخ عمر بن سليم عام ١٣٦٢هـ تولى قضاء بريدة بأمر من الملك عبدالعزيز عام ١٣٦٣هـ ولم يكمل العام. توفي عام ١٣٨١هـ رحمه الله.

١٥ ـ عبدالله بن محمد بن حميد. بعث به الملك عبدالعزيز إلى بريدة ليتولى مواصلة التدريس خلفا للشيخ عمر بن سليم. وحين أعفي الشيخ محمد بن حسين ضم الملك عبدالعزيز إليه القضاء. فكان قاضيا ومعلما وإماما وخطيبا للجامع الكبير في بريدة منذ عام ١٣٦٣هـ وكان آية في الذكاء والعقل وبعد النظر. توفي رحمه الله عام ١٤٠٤هـ.

١٦ ـ صالح بن أحمد الخريصي. ولي قضاء بريدة بادىء الأمر مساندا ومساعدا للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد. ثم تولى رئاسة محاكم القصيم. ولم يعد القضاء كسابقه بل أصبحت المحكمة تضم عددا من القضاة لكل واحد منهم مجاله وأنشىء إلى جانب ذلك محاكم مستعجلة وتوسعت مهمات المحاكم.

التعليم في بريـدة

اتخذ التعليم في بريدة في مطلع هذا القرن ثلاثة مدارج :

١) تعليم الكتاتيب .
٢) تعليم المساجـد .
٣) التعليم الحكومي .

ولكل نوع خصائصه وسماته، ودوره الذي لا يستهان به . وتعد بريدة من أقدم البلاد النجدية في إشاعة التعليم وتلقيه، وامتازت فيه أسر كريمة كان لها فضل كبير في تثبيت دعائمه على أسس سليمة من حيث المضمون ومن حيث طريقة الأداء وأسلوب التلقي .

وعن تعليم الكتاتيب، فتلك تعرف بتعليم الصبيان الكتابة والقراءة ثم تلاوة القرآن الكريم، وقد عرضنا أثناء الحديث عن [الفلكلور الشعبي] عن «الزفة» لحفظة القـرآن الكـريم . وطـريقـة التعليم بدائية يلتف الصبيان حول المعلم الذي يسمى «المطوع» ومعهم ألواح من الخشب مستطيلة مطلية بنوع من الطين الأبيض تكتب فيها الحروف ويأخذ الطفل بالتهجي . ثم إذا برع في ذلك بدأ في قراءة القرآن الكريم حتى يختمه قراءة فقط دون فهم أو تجويد . فإذا أتم ذلك وقدر على الكتابة والقراءة وكان له ميل إلى إكمال تعليمه لازم أحد العلماء فقرأ عليه متون الفقه، والنحو وشيئا من التفسير وحين تتوسع معارفه يوغل في مختلف المعارف، والغالب أن يتجه الشاب إلى العمل لحاجة والده إلى جهده في أي قطاع عملي .

وقد انقرض هذا النوع من التعليم بعد فتح المدارس الحكومية وتحول تلاميذ الكتاتيب إلى المدارس ومطاوعة الكتاتيب حولوا كذلك إليها. ومن طلبتها كاتب هذه السطور والمعروف من الكتاتيب في بريدة والتي صار لها دور كبير في التعليم:

١) مدرسة الصقعبي: للمرحوم صالح بن محمد الصقعبي في قلب بريدة وكان من تلاميذها عدد كبير من علماء بريدة وقد أثنى عليها العلامة حمد الجاسر ودرس فيهـا فترة من الزمن. واعتبرها أقدم مدرسة في نجد. وقد ذكرنا طريقة التعليم في ترجمة صاحبها.

٢) مدرسة ابن فرج: للمرحوم عبدالعزيز بن فرج شمال غرب بريدة وقد تحول معلمها إلى المدارس الحكومية ومعه تلاميذه.

٣) مدرسة ابن سيف: للمرحوم صالح الناصر السيف ثم محمد الناصر السيف وسط البلد قرب قبة رشيد.

٤) مدرسة ابن عقيل: للمرحوم عبدالرحمن بن عقيل جنوب بريدة بين مسجدي ابن فداء وابن بطين. وقد ذكر العمري في «علماء آل سليم» أن اسمه «محمد ابن عبدالعزيز بن عقيل» ص٩٠/١.

٥) مدرسة المطوع: للمرحوم محمد بن حمد المطوع شمال بريدة وكان رحمه الله إماما في القصر وحافظا للقرآن.

٦) مدرسة العمري: للمرحوم سليمان العمري شمال بريدة.

٧) مدرسة محمد الصالح الوهيبي في جنوب المدينة.

٨) مدرسة ابن رزقان في جنوب بريدة قرب قبة رشيد في مقر مدرسة السيف.

٩) مدرسة علي الشويرخ.

١٠) مدرسة صالح الضبيعي.

١١) مدرسة مبارك الفرج بالعجيبة.

١٢) مدرسة عبدالله المحمد الدليقان جنوب بريدة.

١٣) مدرسة ابن معارك: للشيخ عبدالله آل معارك ذكره بن عبيد في تذكرته ص ٢/٢٤٩ والعمري في كتابه «علماء آل سليم» ص٢/٣٢٦ ولد سنة ١٢٧٣هـ وتوفي عام ١٣٣٧هـ كان إماما في مسجد ماضي عرف بالزهد والورع وحب الخير.

هذا بالإضافة إلى مدارس في ضواحي بريدة التي التحمت بها مثل مدرسة عبدالعزيز العثمان المضيان بـ«الصباخ». وهو الآن حي من أحياء بريدة:

أما مدرسة عبدالله بن ابراهيم بن سليم التي تحولت عام ١٣٥٦هـ إلى حكومية فهي تختلف عن نمط الكتاتيب، ولهذا تعد مرحلة انتقال. هذه أهم وآخر مدارس الصبيان التي تطبق طريقة الكتاتيب، ويتلقى التلاميذ العلم على يد مدرس واحد وفي بيته، ويؤخذ على كل طالب «أتاوة» حسب قدرة ذويه من طعام، أو نقد أو غيره. أما مدارس الفتيات التي تقتصر على تعليم القرآن وشيء من آداب الصلاة فهناك:

١) مدرسة هيلة السيف: ذكرها الشيخ عبدالله بن سليم.
٢) مدرسة أم الهزاع جنوب بريدة.
٣) مدرسة بنت بن سطام غرب بريدة.
٤) مدرسة أم الدخيل جنوب بريدة.
٥) مدرسة أم الفوزان قرب مصلى العيد.

وهذا الكم من المدارس النسائية دليل على وعي مبكر لأهمية التعليم ووجوبه وخاصة فيما يتعلق بتعليم أمور العبادة.

أما عن النمط الآخر من التعليم فهو التعليم في المساجد ويتم ذلك عن طريق التلقي من العالم عبر حلقات العلم المعروفة، وهذه الطريقة قديمة ولبريدة نصيب وافر من هذا الجانب وأهمية قصوى حتى أنه حين توفي الشيخ عمر بن سليم عام ١٣٦٢هـ انتدب للتعليم فقط فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رئيس هيئة كبار العلماء وقام بمهمته إلى أن خلا منصب القضاء فأسند إليه. إن اهتمام الدولة بندب عالم ليتولى مهمة التعليم في فترة متقدمة دليل على انتشار هذه الطريقة وإقبال العلماء عليها، وحرصهم على مواصلة الدراسة. وقد تعددت حلقات التعليم في عدد كبير من المساجد في بريدة، وكثر طلبة العلم، وتنوعت المعارف التي يتلقاها الطلبة على مشائخهم. كما رحل كثير من طلبة العلم إلى أنحاء مختلفة من الديار الإسلامية للتزود من العلم. ومن أبرز الأسر المشهورة بالعلم والتعليم في بريدة، آل سليم، وابن مقبل، وابن جاسر. وسنعرض بإيجاز أبرز العلماء في بريدة ممن كان لهم أثر كبير في نهضة العلم عن طريق [حلقات التعليم في المساجد]. وهناك عدد من العلماء تطوعوا للتعليم مثل محمد المطوع، صالح الخريصي، صالح البليهي وغيرهم وسنقتصر في الترجمة على الأموات.

١) إبراهيم بن محمد بن عجلان ولد سنة ١٢٤٣ ودرس على سليمان بن مقبل كما سافر إلى العراق ودرس على الألوسي، ثم مارس التدريس ومن تلاميذه إبراهيم ابن جاسر وابن عمر وابن رواف وأباالخيل وابن قرناس وتوفي عام ١٣١٧هـ.

٢) إبراهيم بن حمد بن جاسر ولد في بريدة سنة ١٢٤١ وتلقى العلم على محمد بن عمر بن سليم ومحمد بن عبدالله بن سليم ثم سافر إلى الشام ولازم علماء الحنابلة وبرز في علم الحديث وقد أثنى على علمه وحفظه طائفة من العلماء، تولى القضاء في عنيزة وبريدة وقام بالإمامة والخطابة في الجامع الكبير، وتلقى العلم عليه طائفة من العلماء، وتوفي عام ١٣٣٨هـ عن عمر يناهز السابعة والتسعين.

٣) سليمان بن صالح الدخيل ولد في بريدة سنة ١٢٩٠ ودرس فيها ثم سافر إلى الهند وتزود من مختلف المعارف. وخاصة علم الحديث، ثم اتجه إلى المدينة ودرس فيها وذهب إلى بغداد فتعلم على الألوسي وغيره من علماء الحنابلة، واشتغل في التاريخ والآداب والصحافة وأنشأ [جريدة الرياض] في بغداد وتوفي عام ١٣٦٤هـ وقد أثنى

عليه كثير من العلماء وله مؤلفات وتحقيقات مطبوعة وأخرى مخطوطة. ترجم له الزركلي، والقاضي، وابن بسام في موسوعاتهم وألف عنه الدكتور محسن عياض عجيل كتاب «الصحفي السياسي النجدي سليمان بن صالح الدخيل».[1]

٤) سليمان بن عبدالله بن محمد المشعلي ولد سنة ١٣٠١ وتعلم أصول الدين، والحديث ومصطلحه وكان كفيف البصر حفظ القرآن الكريم ورحل إلى الرياض لتلقي العلم على علماء الدعوة ثم عاد إلى بريدة وتولى التدريس في الجامع الكبير، كما تولى القضاء في مدن وقرى القصيم وتوفي عام ١٣٧٦هـ.

٥) سليمان بن علي بن مقبل ولد عام ١٢٢١ وتلقى العلم على طائفة من علماء القصيم وأكثر الأخذ عن الشيخ قرناس. رحل إلى مكة ودرس فيها كما رحل إلى دمشق. وتولى القضاء في بريدة وتوفي عام ١٣٠٥هـ.

٦) صعب بن عبدالله بن صعب بن محمد التويجري ولد في بريدة عام ١٢٥٥هـ، وتعلم على مشائخها في عصره آل سليم، وابن مقبل، ثم سافر إلى الرياض وتعلم على علماء الدعوة وأقام زمنا في عنيزة يعلم العلم، كان من أبرز تلاميذه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ثم عاد إلى بريدة وجلس للتعليم وتولى قضاء الأفلاج وتوفي عام ١٣٣٩هـ.

٧) عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالعزيز العبادي ولد عام ١٣١٤ وطلب العلم على آل سليم وكاتب كبار العلماء جلس للتعليم في الجامع الكبير في بريدة ومن أبرز تلاميذه سليمان بن عبيد وصالح بن أحمد الخريصي وعلي بن إبراهيم المشيقح وصالح التويجري. توفي عام ١٣٥٨هـ.

٨) عبدالعزيز بن صالح بن إبراهيم بن فوزان ولد في بريدة عام ١٣٣٣ وطلب العلم على آل سليم ثم وجهته الدولة للوعظ في اليمن، ثم ولي قضاء الجوف، وضرية،

١) منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة الطبعة الأولى ١٤٠١هـ يقع الكتاب في ١٧٣ صفحة.

وقصيبا، ومكة المكرمة والطائف وفي عام ١٣٨٠ عين عضوا في هيئة التمييز بمكة المكرمة وتوفي عام ١٣٩٦هـ.

٩) عبدالله بن حسن بن صالح أبا الخيل ولد سنة ١٢٧٤هـ وتولى التدريس وتوفي عام ١٣٣٧هـ.

١٠) عبدالله بن صقيه الوهبي، ولد في مطلع القرن الثالث عشر، وولي القضاء عام ١٢٤٤ في بريدة، ودرس على قاضيها عبدالعزيز بن سويلم، ونبغ في الفقه، وتولى إمامة وخطبة الجمعة، ومن تلامذته ابن مقبل، سافر إلى مكة المكرمة للمجاورة فيها وتوفي عام ١٢٥٦هـ.

١١) عبدالله بن محمد المفدى ولد سنة ١٢٧١ ولازم التدريس وتوفي سنة ١٣٣٧هـ.

١٢) عبدالله بن أحمد الرواف ولد في بريدة سنة ١٢٩٢ وطلب العلم في نجد والشام وتولى القضاء في الخليج وقتل غيلة عام ١٣٥٩هـ.

١٣) عبدالله بن عودة بن عبدالله السعوي، ولد سنة ١٣٠٨ وطلب العلم على علماء بريدة، وجهته الدولة للوعظ والإمامة في المنطقة الغربية، شارك في فتح الحجاز وولي القضاء في المنطقة الجنوبية، وفي نواحي القصيم، وفي الشرقية، وتوفي في مصر عام ١٣٧٩هـ.

١٤) عثمان بن حمد بن محمد بن مضيان ولد سنة ١٢٩٠ طلب العلم في بريدة على آل سليم، وفي الرياض على علماء الدعوة ثم ولي القضاء في أبي عريش سنة ١٣٥٣ ثم في محائل من أعمال عسير، وتوفي هناك عام ١٣٦٦هـ.

١٥) علي بن سالم بن محمد السالم ولد في بريدة عام ١٣٤٠ درس في بريدة على علمائها وبالذات على فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد، وولي القضاء في عدة مناطق كان آخرها في محاكم القصيم وجلس للتدريس في مسجده توفي عام ١٣٩٧هـ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٦) علي النـاصر أبووادي ولد سنة ١٢٧٣ مارس التدريس وممن أخذ عنه العلامة عبدالرحمن السعدي توفي عام ١٣٦١هـ.

١٧) عمر بن محمد بن عبدالله بن حمد بن محمد بن صالح بن سليم وأصل هذه الأسرة من الدرعية انتقلوا إلى بريدة بعد هدمها ولد في بريدة سنة ١٢٩٨ طلب العلم على والده وسافر إلى الرياض للتردد على علماء الدعوة، ولي القضاء والإرشاد في العديد من مدن وقرى القصيم، كما تولى القضاء والإمامة في بريدة عام ١٣٥١ واستمـرت حلقـات الدرس عليه، ومن أبرز تلاميذه ابن عبيد، والخريصي، والعبـادي، والمطوع، والمطرودي، وابن فوزان وعدد كبير من العلماء والقضاة والمرشدين. توفي في عام ١٣٦٢هـ.

١٨) فوزان السابق الفوزان ولد في بريدة عام ١٢٧٥ كان سفيرا للمملكة بمصر وتبرع بمكتبته لجامع بريدة توفي عام ١٣٧٣هـ.

١٩) محمد بن عمر بن عمر العمري ولد عام ١٢٢٠ وطلب العلم على الشيخ قرناس ابن عبدالرحمن، كان فقيها ولي قضاء الخبراء وإمامة جامعها عرف بالورع والزهد والتقى والاستقامة توفي عام ١٢٩٢هـ.

٢٠) محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن عبدالله بن صالح آل سليم ولد سنة ١٢٤١هـ وقيل ١٢٤٥هـ وطلب العلم في الـدرعية والعيينة وفي بريدة وعنيزة على علماء عصره، ثم أجيز من علماء الـدعوة، وتوسعت معارفه، ثم باشر التدريس في بريدة، وتولى قضاءها من قبل أميرها حسن بن مهنا ووافاه الأجل سنة ١٣٠٨هـ.

٢١) محمد بن عبدالله بن حمد بن محمد بن صالح آل سليم ولد سنة ١٢٤٠هـ وتلقى تعليمـه على مشائخ بريدة وعنيزة، وتمكن من أصول الدين، وفروعه ومعارف الحديث والتفسير، وعلوم اللغة، ورحل إلى الرياض للتزود من علماء الدعوة ثم

جلس للتدريس في بريدة، وولي قضاءها وكان ذلك بعد إقامة طويلة في عنيزة، ثم نفاه آل رشيد وأعاده الملك عبدالعزيز وتوفي سنة ١٣٢٣هـ.

٢٢) محمد بن عبدالعزيز بن سليمان بن ناصر آل عجاجي ولد في بريدة سنة ١٣٠٩هـ وتعلم على مشائخها من آل سليم. ندبه الملك عبدالعزيز للإرشاد في الإرطاوية وتولى بعد ذلك التدريس في بريدة وتوفي شابا سنة ١٣٤٤هـ عن ٣٥ سنة.

٢٣) محمد بن مقبل بن علي بن مقبل ولد عام ١٢٨٣هـ وطلب العلم على علماء عصره وكان يقيم بـ «المنسي» من ضواحي القصيم، ويفد إلى بريدة لطلب العلم، عرف بالورع والزهد، والعزوف عن المناصب، وكان ذكيا، ولي قضاء البكيرية وطلب لقضاء بريدة وعنيزة فاعتذر وجلس للتدريس وتوفي عام ١٣٦٨هـ.

٢٤) محمد بن عبدالله بن حسين بن صالح بن حسين بن عبدالله من آل أبي الخيل، ولد في بريدة عام ١٣١٠. تلقى العلم على أبيه وعلى الملاحي وعلى علماء بريدة آل سليم. تولى القضاء في عدد من قرى القصيم ومدنها في عنيزة وبريدة. وجلس للتدريس، له مؤلف مشهور اسمه «الزوائد» على زاد المستقنع. توفي عام ١٣٨١هـ.

٢٥) محمد بن صالح بن سليمان المطوع ولد عام ١٣١٢هـ. تلقى معارفه على آل سليم والعبادي وجلس للتدريس والإمامة أكثر من خمسين عاما وأغلب العلماء المعاصرين تلقوا على يديه بعض المعارف الإسلامية. توفي عام ١٣٩٩، وكان ورعا تقيا.

٢٦) ناصر بن سليمان بن محمد بن سيف ولد عام ١٢٤٨ وطلب العلم على مشائخ بريدة، وعنيزة كما طلب العلم في الرياض على علماء الدعوة، كان لوالده مدرسة لتعليم القرآن الكريم. وحين توفي والده حل محلة وتوفي سنة ١٣٣٩هـ.

٢٧) صالـح بن محمـد بن عبـدالعـزيز بن محمـد بن عبـدالله الصقعبي. ولد عام ١٣١٢هـ، وتوفي عام ١٣٥٨هـ. كان مؤدبا للصبيان ومعلما للقرآن الكريم، والكتـابـة وكان والده إمام مسجد (عودة الرديني) زمن آل رشيد. وقد وصف تدريسه الشيخ بن عبيد في مؤلفه فقال: وصفة تدريسه أنه يكتب للأولاد حروف الهجاء في ألواح من الخشب فإذا حذق الصبي الهجاء يعطى جزء عم، فيشرع في الفاتحة ثم الناس ثم الفلق ثم الإخلاص ويصعد كذلك، فإذا اجتمع الأولاد صباحا فإنهم يأخذون جميعا الدراسة. وبعد ساعتين يقرأ عليهم إثنا عشر طالبا وكلما قرأ واحد فإنه يقيم معه خمسة يقرأون عليه، ومن قرأ فإنه يأتي إلى المؤدب فيجعل معه خمسة وهكذا حتى تتم الدراسة في حوالي الساعة الرابعة فإذا كان بعد الظهر حضر الأولاد يمرون ما درسوا صباحا ويخرجون قبيل العصر بدقائق ثم يأمر من كان من الدرجة الثالثة أن يكتبوا لأهل الهجاء في ألواحهم ويحضر كبار الطلاب بعد العصر في دكاكين في السوق لتعلم الكتابة والحساب[1].

- وهناك طائفة من العلماء والقضاة ترجم لهم الشيخ العمري وذكر شيئا من إسهاماتهم.

كما وردت ترجمة بعضهم في كتب أخرى للقاضي وابن بسام. ومن العلماء وطلبة العلم في بريدة من تلقوا تعليمهم في المساجد على العلماء من آل سليم وعلى المتقدمين من طلبتهم وعلى العلماء الوافدين على بريدة:

سليمان بن راشد الشقاوي توفي عام ١٣٤٧هـ.
سليمان بن عبدالله بن حميد توفي عام ١٣٦٢هـ.
سليمان بن محمد العمري توفي عام ١٣٨٤هـ.
سليمان بن محمد بن طويان توفي عام ١٣٥٩هـ.
صالح بن ابراهيم الرسيني توفي عام ١٣٦٦هـ.
صالح بن ابراهيم بن كريديس توفي عام ١٣٥٧هـ.
صالح بن سليمان بن حميد توفي عام ١٣٥٧هـ.
صالح بن عبدالرحمن السكيتي توفي عام عام ١٤٠٤هـ.

١) ص٩٢/٤ تذكرة أولي النهى.

صالح بن محمد بن سليم توفي عام ١٣٤٣هـ.
عبدالرحمن بن حمد الجطيلي توفي عام ١٤٠٤هـ.
عبدالرحمن بن عبدالعزيز الصعب توفي عام ١٣٤٦هـ.
عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد توفي عام ١٣٥٠هـ.
عبدالرحمن بن عبدالله بن بليهد توفي عام ١٣٩٥هـ.
عبدالرحمن بن عبدالله بن دخيل توفي عام ١٣٩٨هـ.
عبدالرحمن بن عبدالله بن مفدا توفي عام ١٣٤٦هـ.
عبدالرحمن بن عبيد آل عبيد توفي عام ١٣٣٧هـ.
عبدالرحمن بن محمد الدوسري توفي عام ١٣٩٩هـ.
عبدالرحمن بن طرباق توفي عام ١٣٩٥هـ.
عبدالرحمن العجاجي توفي عام ١٣٠٨هـ.
عبدالعزيز بن صالح الفرج توفي عام ١٣٩١هـ.
عبدالعزيز بن عبدالله المفدى توفي عام ١٣٣١هـ.
عبدالكريم بن ناصر الجربوع توفي عام ١٣٤٠هـ.
عبدالله بن ابراهيم المعارك توفي عام ١٣٣٧هـ.
عبدالله بن حسين أباالخيل توفي عام ١٣٣٧هـ.
عبدالله بن حماد الرسي توفي عام ١٣٨٢هـ.
عبدالله بن رشيد الفرج توفي عام ١٣٧٩هـ.
عبدالله بن سليمان الحميد توفي عام ١٤٠٤هـ.
عبدالله بن صالح الربدي توفي عام ١٣٣٧هـ.
عبدالله بن عجيان توفي عام ١٣٩٦هـ.
عبدالله بن علي العجلاني توفي عام ١٤٠٠هـ.
عبدالله بن علي العمرو توفي عام ١٣٢٦هـ.
عبدالله المحمد البقيشي توفي عام ١٤٠٣هـ.
عبدالله بن محمد الجربوع توفي عام ١٣٣٧هـ.
عبدالله بن محمد أبا الخيل توفي عام ١٣٧٠هـ.
عبدالله بن محمد السكاكر توفي عام ١٣٦٤هـ.

عبدالله بن محمد القرعاوي توفي عام ١٣٨٩هـ.
عبدالمحسن بن عبيد توفي عام ١٣٦٤هـ.
عثمان بن عبدالله بن معارك توفي عام ١٣٩١هـ.
عقلا الحسين توفي عام ١٤٠٢هـ.
علي السليمان الضالع توفي عام ١٣٩٧هـ.
علي بن سليمان اليحيى توفي عام ١٣٦٥هـ.
علي بن عبدالرحمن الغضية توفي عام ١٤٠٤هـ.
علي بن عبدالعزيز العجاجي توفي عام ١٣٨٣هـ.
علي بن محمد البريدي توفي عام ١٣٧١هـ.
علي بن محمد المطلق توفي عام ١٤٠٣هـ.
علي بن محمد الوقيصي توفي عام ١٣٤٧هـ.
علي بن مقبل آل عبيد توفي ١٣٣٤هـ.
علي بن عبدالله الحصيني توفي عام ١٣٨٢هـ.
فهد بن عيسى توفي عام ١٣٧٢هـ.
فوزان السابق توفي عام ١٣٧٣هـ.
محمد بن ابراهيم النجيدي توفي عام ١٣٦٤هـ.
محمد بن رشيد الربيش توفي عام ١٤٠٣هـ.
محمد آل فويس توفي عام ١٣٤٦هـ.
محمد بن سليمان العمري توفي عام ١٣٠٨هـ.
محمد بن عبدالعزيز الصقعبي توفي عام ١٣٢٦هـ.
محمد بن مبارك الحميد توفي عام ١٣٦٣هـ.
ناصر بن سليمان بن سيف توفي عام ١٣٣٩هـ.
وائل بن يحيى الطريقي توفي عام ١٤٠١هـ.
نصيان بن محمد النصيان توفي عام ١٣٥٨هـ.

وقد وجد الملك عبدالعزيز رحمه الله في علمائها مددا ثرا لتغطية طموحاته في شمال المملكة وجنوبها فقلد العديد منهم مناصب القضاء، والإمامة، والإرشاد. وندبهم

جلالته لمهات جسام إبان تأسيس هذه الدولة العتيدة. وقد صدر أخيرا كتاب عن علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم للشيخ صالح بن سليمان العمري في مجلدين ترجم فيه للعلماء من آل سليم وذكر دورهم العلمي في مدينة بريدة وفي سائر مدن المملكة وأحصى تلامذتهم وترجم لبعضهم وقد بلغ عدد تلامذة الشيخ محمد بن عبدالله والآخذين عنه أكثر من مائتين. وبلغ عدد تلامذة الشيخ محمد بن عمر أكثر من مائة عالم وبلغ عدد تلامذة الشيخ عبدالله بن محمد أكثر من ثلاثمائة وخمسين أما طلبة الشيخ عمر بن سليم فقد زادوا على خمسمائة عالم ومن أولئك العلماء والقضاة والمدرسون في الجامعات وأعضاء الهيئات العلمية ورؤساء المحاكم والمستشارون والمؤلفون والوعاظ والخطباء مما يؤكد أهمية بريدة علميا إلى جانب أهميتها في المجالات الأخرى ولم يفرده لعلماء بريدة ولكنه خصصه لمن طلب العلم على آل سليم وأغلبهم من بريدة.

أما الحديث عن النهضة التعليمية الحديثة، فيكفي للتدليل على ذلك إعطاء لمحة موجزة، فقد افتتحت أول مدرسة حكومية عام ١٣٥٦هـ. ثم تعددت المدارس وحسب آخر إحصاء يوجد في مدينة بريدة أربعون مدرسة ابتدائية نهارية، وثلاث عشرة مدرسة متوسطة نهارية بالإضافة إلى سبع مدارس للمرحلة الثانوية، وهي ثانويتان، وثانوية تحفيظ القرآن، ومعهد النور، والمعهد العلمي، والزراعي، والعسكرية.

هذا عدا تعليم البنات الذي لا يقل عن مستوى تعليم البنين كما، وكيفا.

أما عن المستوى الجامعي فهناك فرع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بكل تخصصاتها وهناك فرع لجامعة الملك سعود وهناك كلية تربية للبنات.

بالإضافة إلى التعليم الفني، والاجتماعي، والمهني، والصحي. ويقوم بعض رجال التعليم القدامى بإعداد كتاب عن طلبة العلم الذين تلقوا التعليم على «آل سليم»[1]. كما أن مدن وقرى القصيم زاخرة بالعلماء. ومازال العدد الكبير من طلبة العلم والمتخصصين يسدون مواقع تعليمية في الجامعات السبع المنتشرة في المملكة. وأرجو أن يسهم المتحدثون عن مدينة عنيزة والرس والبكيرية والجواء في تغطية هذه الجوانب لأهميتها.

١) طبع الكتاب عام ١٤٠٥هـ.

المساجد والمكتبات(١)

كان للمساجد في القديم دور شمولي ففيها تعقد الألوية ويتجمع الكبراء للتشاور. وإذا حزبَ الأمةَ أمرٌ هرعوا إلى مساجدهم لتلقي النصح والتوجيه. وفيها حلقات التعليم لمختلف المعارف. وكان لمساجد «بريدة» شيء من هذه المهمات. وعرفت أهميتها بكثرة الدارسين وطلبة العلم. وكان العلماء من آل سليم وغيرهم يعلمون القرآن والتفسير والفقه والتاريخ بعد الصلوات وتخرَّج في هذه المساجد علماء أفذاذ، فهناك «مسجد الجامع الكبير» الذي تزامن بناؤه مع نشأة «بريدة» ثم جدد بناؤه عام ١١٥٣هـ وجدد ثانية عام ١٢١٣هـ وأدخلت فيه زيادات وتمت توسعته ما قبل الأخيرة عام ١٣٥٩هـ أما بناؤه القائم فقد تم عام ١٣٧٧هـ إلا ما كان من ترميم وإصلاح. وهو الجامع الرئيسي لتوسطه ولقدمه وأهميته وكان إلى زمن قريب لا يؤم المصلين فيه إلا قاضي البلد. ويليه في القدم «مسجد ماضي» الذي أنشأه الشيخ عبدالله ابن معارك عام ١٢٥٠هـ فـ«مسجد عودة الرديني» الذي أسس عام ١٣٠٨هـ وهو مسجد محمد بن صالح المطوع ومازال قائما وسط السوق المركزي. ومن المتوقع إعادة بنائه على الطراز الحديث. وعندما انتقل سوق الماشية إلى ميدان الجردة أقيم إلى جواره «مسجد الجردة» عام ١٣٤٠هـ. وفي بريدة عدد كبير من المساجد القديمة كـ«مسجد ناصر» وهو أقدم من مسجد الجردة و«مسجد أبابطين» وهو قديم العمارة و«مسجد المشيقح» مبني عام ١٣١٧هـ وجددت عمارته عام ١٣٥٣هـ و«مسجد ابن فدا» عام ١٣١٣هـ و«مسجد ابن شريدة» ويسمى مسجد ابن كريديس ثم عرف فيما بعد بمسجد الصائغ أنشىء عام ١٣١٣هـ ثم تعددت المساجد وكثرت ولكنها لم تكن على

١) جاء ذكر المساجد في معجم القصيم.

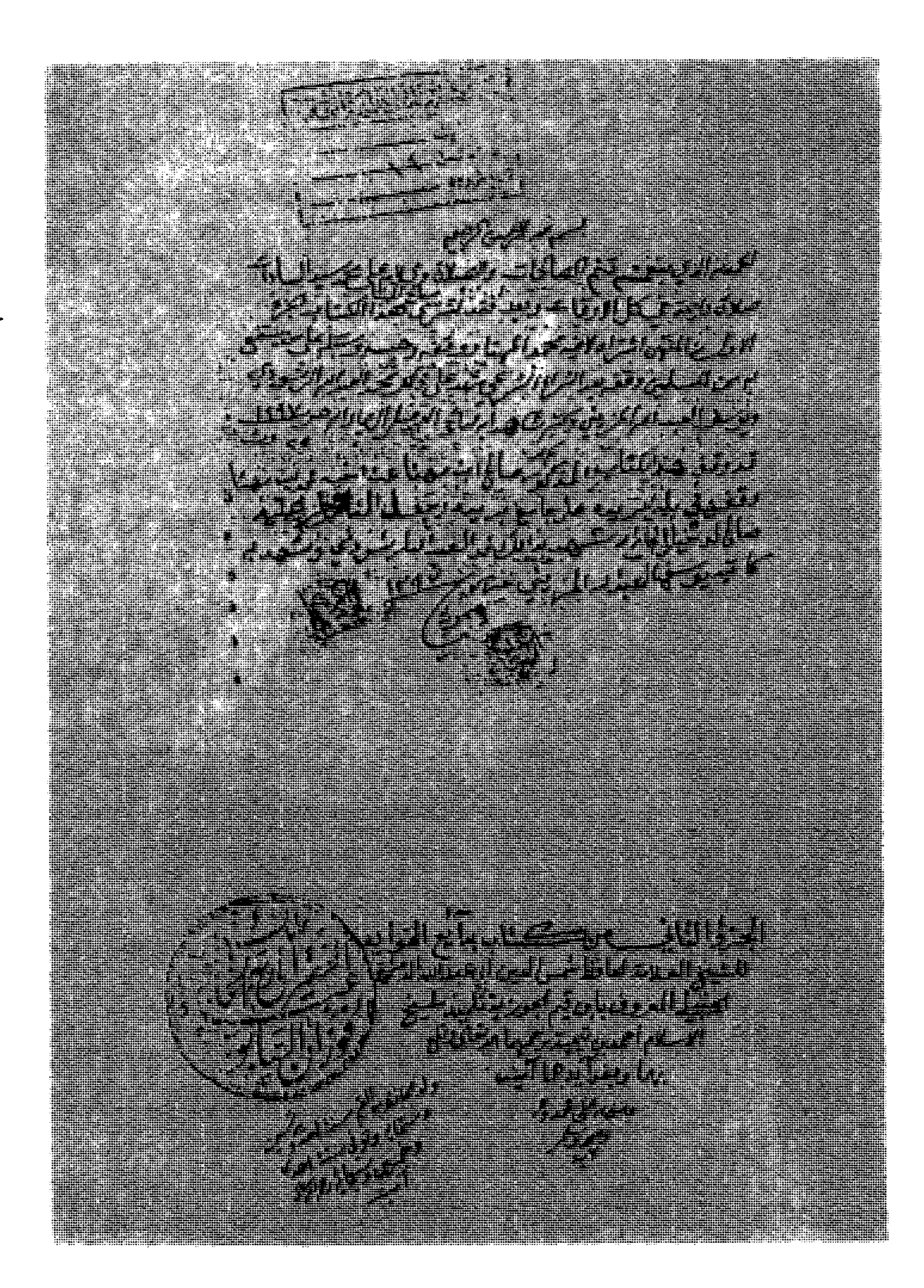
ما هي عليه في السابق لتبدل الأحوال واتساع الأرزاق وإنشاء المدارس والجامعات و كثرتها وانشغال الناس بأمور دنياهم.

أما المكتبات فتوجد المكتبة العامة وقد أنشئت عام ١٣٥٠هـ وتم تمويلها من الهيئات والأوقاف والتبرعات من الشيخ عمر بن سليم وفوزان السابق وعيسى الرميح وغيرهم. وفي عام ١٣٧٥هـ شيد لها أول مبنى مسلح عرفه أهل القصيم بأمر من جلالة الملك سعود رحمه الله ومتابعة من المرحوم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد. وتضم عددا من المخطوطات المهمة التي مازالت باقية. وقد زارها عدد من العلماء والمهتمين بالمخطوطات وفيها إلى جانب ذلك أمهات الكتب. وكان فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله يعقد فيها حلقات للدرس. ومن بعده الشيخ عبدالرحمن الجطيلي رحمه الله وقد انتقل الإشراف عليها من قاضي المدينة إلى وزارة المعارف ولما لم يعد بناؤها صالحا فقد نقلت من موقعها القديم إلى حي الصفراء.

ويلي المكتبة العامة في الأهمية والشمول مكتبة نادي القصيم الأدبي وتضم أكثر من خمسة عشر ألف كتاب في مختلف العلوم والمعارف. وتنفرد بفتح باب الإعارة وتيسيرها لطلبة الجامعات والمتخصصين. ومكتبة فرع جامعة الإمام. ومكتبة كلية الزراعة والطب البيطري. ومكتبة كلية البنات. ومكتبة المركز الثقافي التابع لجمعية الثقافة والفنون بالقصيم. وكل هذه المكتبات تقدم خدمات وتسهيلات للرواد وتسد حاجة الباحثين والدارسين.

على أن وزارة المعارف نشطت في تزويد مكتبات المدارس بمختلف الكتب، ومكتبات المدارس وخاصة «الثانوية» منها مليئة بالأمهات.

بعض صور مخطوطات المكتبة العامة ببريدة .


الجزء الثاني من كتاب بدائع الفوائد

بعض صور مخطوطات المكتبة العامة ببريدة وتتضح فيها أسماء الموقفين.

العقيلات(١)

والحـديث عن العقيلات أو عقيل جزء مكمـل للحـديث عن التجـارة وعن رجالات بريدة من جهة أخرى.

والعقيلات من رجـال بريدة الأشداء الذين عرفوا بالشجاعة وركوب المخاطر والبراعة في التجارة ورحلاتهم في فجاج الأرض لطلب الرزق والاتجار وشهرتهم دليل على ملكتهم التجارية وشجاعتهم وقوة بأسهم وتجارتهم عامة وشاملة لأنهم يجلبون ما يفيض عن حاجـة بريدة من المـواشي والـطعوم ويجلبون ما يحتاجه الأهالي من سائر المزروعات والمنسوجات والمصنوعات.

وكانوا يعتمدون على المضاربة في المال ويسميها الفقهاء «شركة العنان» ويسميها العـامـة «البضـاعـة» وفي المثـل العـامي «البضـايع مال ضايع» والعقيلي يأخذ المال بالثلث . . . ثلث له وثلث للمصاريف وثلث لأهل رأس المال. وقد يأخذه مناصفة بعد خصم المصاريف ورأس المال مع جزء من الربح يعود إلى صاحب المال. وقد يأخذ أموالا كثيرة لأناس كثيرين وربما يأخذ نقدا أو عينا بثمنها. ولما كانت رحلات عقيل في الفيافي والقفار تتعرض للسطو والضياع والخلاف، كان لابد من اختيار أمير للقافلة وغالبا ما يكون هذا الأمير من أكبرهم سنا وأكثرهم ثراء وأبعدهم نظرا وأكثرهم خبرة

١) تحدث عنهم العبودي في كتاب الأمثال العامية، وفي معجم القصيم، وكتب عنهم سليمان الدخيل مقالات في مجلة «لغة العرب» وألف عنهم إبراهيم المسلم.

وأبصرهم بحل المشكلات ومواجهة المخاطر وتدارك الأمور في ساعات الشدة. وممن اشتهر من أمراء عقيل محمد بن علي الشويهي وعيسى الرميح ومحمد بن أحمد الرواف وابراهيم العلي الرشودي وابراهيم بن سليمان الجربوع وصالح بن مطوع ويحيى بن عبدالرحمن بن شريدة وحمود البراك وسليمان النجيدي وابراهيم بن عبدالرحمن بن شريدة ومنصور بن سليمان الجربوع وفوزان السابق وحمود النجيدي. وقد ذكر ابن عيسى في تاريخه اثنين من أمرائهم وهم محمد التويجري وعلي السليمان الذي قتله محمد نجيب باشا والي بغداد ١٢٥٨هـ.

والمعروف عن العقيلات أنهم أهل نخوة ونجدة ومعروفون بالشجاعة والإقدام. وقد عودهم السفر على القوة والإقدام.

يقول الشاعر الشعبي محمد بن صغير في وقعة البكيرية:

يوم جا العسكر تزاحم طوابيره ... والمدافع جامع كل أونيها
جاء جمع عقيل هدم مناجيره ... ما حلى ضرب النمس في علابيها
من تَوَلّوْ لابتي ضاع تدبيره ... سلة القصمان ما حد يناجيها

ويقول العوني في الخلوج وهي قصيدة أرسلها إلى عقيل بالشام:

الى جيت سوق العصر ياتيك ... تخشع بزينات البريسم نعالها
يقولون لك يا صاح عطنا علومك ... بلدان نجد عقبنا وش جرى لها

إلى أن يقول:

اولاد على اليوم ذاوقت نفعكم ... لا رحم أبونفس تتاجر بيالها
أولاد على إن الليالي قصيرة ... ولا للفتى غير الثنا من نوالها

و«أولاد علي» نخوة أهل بريدة وهو يقصد العقيلات المسافرة وقيل إنها نخوة القصيم عامة.

وكان أهل الشام وفلسطين يطلقون كلمة «عقيلي» على كل نجدي يشتغل بتجارة الابل، ولا أتوقع أنهم بهذا يستصحبون شيئا من الإنتماء القبلي إلى «بني عقيل» مثلا. حتى أن الصيغة تختلف بين «عَقِيْل» و«إعْقيل» فيقال في النسب إلى الكلمتين «عَقِيْلِيٌّ»، و«إعْقِيلي» فتراعى في الأولى الصيغة الصرفية لعربيتها ولا تراعى في الثانية لعاميتّها. وليس صحيحا أن كلمة «عقيل» لا تطلق إلا على أهل القصيم(1). ذلك أن ابن عيسى صاحب كتاب «بعض الحوادث الواقعة في نجد» ذكر في أحداث عام ١٢٥٨هـ أن سليمان بن غنام رئيس عقيل أهل العارض من أهل ثادق(2). ويحسن بنا أن ننقل ما كتبه العلامة العبودي حول بعض الأمثال العامية المتعلقة بعقيل:

«بِنَا عْقَيلْ»

أي: كبناء عُقَيْل، وعُقَيْل. بصيغة التصغير: هم جماعة من تجار أهل نجد كانوا يتاجرون بالماشية يشترونها من الجزيرة العربية ويذهبون بها للشام ومصر. وكان بعضهم يسكنون في العراق حتى كان جانب الكرخ يُسمَّى في بعض الأوقات في أول القرن الرابع عشر الهجري وقبله «صوب عقيل».

وكلمة عقيل - فيما يظهر - جاءتهم من كون «بني عقيل» الذين هم من بني عامر ابن صعصعة كانوا في القديم هم الذين يتردَّدون إلى تلك الأقطار المجاورة لِنَجْدٍ. ثم خَلَفَهم عليها بعضُ أهل الحضر من غيرهم فسموا «عُقَيْلاً» إجراءً لهم مجرى اسم «بني عقيل».

وكان «عقيل» أولئك إذا كَسَدَتْ تجارة الماشية وأصبح بعضهم متعطلا عن العمل لم يجدوا ما يشتغلون به إلا البنيان الذي ليس لهم خبرة به.

قالوا: فكانوا يأتون إلى بعض البلدان التي يقيمون فيها يبنون الجدر بالطين واللِّبن، ولكنها سرعان ما تَنْهار لعدم معرفتهم بالبناء، ويقال إن بعضهم يقول لبعض: أمْسِك الحائط لئلا ينهار قبل أن نأخذ الأجرة لذلك ضرب هذا المثل للبنيان غير المتقن.

1) جاء في كتاب «العقيلات» «العقيلات» أطلق على جماعة من أهل القصيم. ص٣٦.

2) ص ١٦٦.

يريدون به كبناء تجار المواشي.

وقد وجدت قصة مرادفة له قديمة، قال أبوحيّان التوحيدي: حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية، قال: رأيت جَحْظَةَ البرمكي قد دعا بنّاءً ليبني له حائطا فحضر، فلما أمسى اقتضى البنّاءُ الأجرة فتماكسا[1] وذلك أن الرجل طلب عشرين درهمًا، فقال جحظة: إنما عملت يا هذا نصف يوم، وتطلب عشرين درهما؟ فقال البناء: أنت لا تدري أني بنيت لك حائطا يبقى مائة سنة. فبينما هما كذلك وجَبَ الحائط وسقط، فقال جَحْظة: هذا عملك الحسن؟ فقال البناء: فأردت أن يبقى ألف سنة؟ قال: لا، ولكن يبقى إلى أن تستوفي أجرتك فضحك أضحك الله سنه.

«عُقَيل، وْلَيْلْ، وْمِنْ جَاهُمْ مَا نَجا أهلَهْ»

عقيل: بصيغة تصغير «عَقْل» جماعة من أهل نجد كانت تعيش في العراق والشام ومصر وكانت تجارتهم الرئيسية المواشي وبخاصة الابل والخَيْل إذ كانوا يشترونها من نجد ويبيعونها في أسواق تلك البلاد. لهم ذكر عظيم في التاريخ حتى كان جانب الكرْخ من بغداد يسمى «صوب عقيل» أي «جانب عقيل».

أي: هم عُقَيْل في الليل مَنْ أتاهم يريد الإغارة عليهم لم يعد إلى أهله.

يضرب للقوم اليقظين والأمر المخوف، وهو شبيه في المعنى بالمثل العربي القديم: «الليل واهضام الوادي» قال الميداني: الهضم: ما اطمأن من الأرض، يضرب في التحذير من الأمرين كلاهما مخوف. وأصله أن يسير الرجل ليلا في بطون الأودية، ولعل هناك ما لا يؤمن اغتياله وهو لا يدري».

وكان لعقيل هؤلاء أثر عظيم في بغداد ونواحيها قبل ثلاثة قرون من الزمان إلى منتصف القرن الرابع عشر وهذه أمثلة على ذلك.

---

١) تماكسا أي تشاحا في الأجرة.

ذكـر ابن سنـد في وقائع عام ١١٨٨هـ أن حربا وقعت في العراق وطال فيها الخطب، وجعل الشر يزداد يوما فيوما، والقتل والنهب واللصوص والهجوم على الدور ليلا ونهارا مستمر فعندئذ قامت فئة عرب نجد المعبر عنها بعُقَيْل، ودخلوا بين الفئتين المتحـاربتين وحجزوا بينهما الهدنة، وقالوا: إن الفرقة المخالفة، فنحن عليها فحينئذ سكتت الفتنة بين الفئتين.

ثم ذكر بعد ذلك أن الوزير حسن باشا والي كركوك جهز جيشا من العراق ومن عرب نجد المعبر عنهم بعقيل (حسب تعبيره) وذكر في حوادث عام ١٢٠١هـ أن جيشا معاديا حاصر بغداد وخيف عليها منه ولكن قامت عرب نجد المعروفون بعقيل، وصدوه عن بغداد، وحفظوا الجانب الغربي منها، فشكرهم الوزير على ذلك، وكافأ أكابرهم على غيرتهم وهمتهم. ثم ذكر ابن شاوي ـ زعيم الذين حاصروا بغداد ـ أنه لما انكسر من (عقيل) رجع متقهقرا مخذولا لا يعرف له مأوى.

وذكـر في حوادث سنـة ١٢٣١هـ من قولـه: خرج عسكـر الوزير سعيد باشا وكبيرهـم قاسم بن شاوي، ومعه عفاريت (عقيل) النجديون، وهـم عسكر الوزير إذ ذاك.

وذكر في وقائع عام ١٢٤٢هـ أن عرب المنتفق ومعهم عشائر بني كعب وبعض الروافض من العجم وسلطان مسقط ومعه عسكره من الأباضية هاجموا البصرة بغية احتلالها ونهبها وقال: ولما اشتد الأمر وكادوا أن يفتحوا البصرة برز إليهم عسكر (عقيل) من عرب نجد، ونشب القتال بينهم وكانوا على الربع من عسكر المهاجمين فالتجأ عرب (عقيل) في النخيل فهجم عليهم العسكر المهاجم، فرمتهم (عقيل) بالرصاص، وهم متترسون في النخيل، فما مضت سويعات إلا وانكسر عسكر المهاجمين وانهزموا وقُتل منهم خلق كثير بالرصاص. وأما عسكر (عقيل) فإنهم رجعوا إلى البصرة منصورين غانمين فقوي بهم عضد أهل البصرة».

انتهى كلام العبودي في كتاب الأمثال العامية في نجد، وتدخل عقيل في الشئون العسكرية عرضهم للقتل، ففي حوادث سنة ١٢٥٨هـ ذكر ابن عيسى أن والي بغداد قتل أميرين من أمراء عقيل أحدهما سليمان بن غنام والآخر علي بن سليمان.

وقد قام مؤلف كتاب «العقيلات» بحصر بعض من عرف من العقيلات. . . ونحن نورد ونُضيف طائفة منهم.

حسين الصالح المهنا، محمد العبدالرحمن الرواف، عمير الحجيلان، عبدالرحمن الشريدة، إبراهيم الرشيد، محمد العلي الشويهي، موسى الرواف، محمد الأحمد الرواف، علي المحمد الرشودي، عيسى الرميح، حمود البراك، فهد العلي الرشودي، صالح السليمان المطوع، محمد العبدالرحمن الشريدة، إبراهيم العلي الرشودي، يحيى العبدالرحمن الشريدة، إبراهيم العبدالرحمن الشريدة، فوزان السابق، عبدالكريم الجاسر، علي الناصر الجاسر، عبدالرحمن الأحمد الرواف، عبدالرحمن الخضير، رواف الناصر الرواف، عبدالرحمن الضالع، محمد الجاسر، عبدالعزيز الجاسر، عبدالله الأحمد الرواف، عبدالعزيز إبراهيم الحجيلان، إبراهيم العبدالرحمن الحجيلان، صالح السلطان، أحمد المحمد المديفر، محمد الدخيل، عبدالله الحمد المديفر، سليمان إبراهيم الحجيلان، حمود الشريدة، محمد إبراهيم البطين، حمد العباس، منصور الشريدة، صالح العبدالعزيز الحليسي، فوزان العثمان، خليفة العبدالله السعيدان، عبدالرحمن الخطاف، إبراهيم الخطاف، إبراهيم القسومي، عبدالرحمن إبراهيم المرشود، علي الفايز، عبدالله العيسى، جلوي الفهد الصقعبي، سليمان العبدالله النغيمشي، إبراهيم العبدالله النغيمشي، محمد الحمد القرعاوي، محمد إبراهيم القرعاوي، عبدالعزيز المحمد القرعاوي، سليمان الغماس، سليمان البراك، عبدالرحمن الحمد السلمان، عبدالله المحمد أبوهلال، محمد العبدالرحمن السلمان، عبدالعزيز إبراهيم الجاسر، عبدالله إبراهيم الجاسر، حمد العلي الحميدة، علي إبراهيم الحميدة، مسند العبدالله المسند، محمد بن خليف، حمود المطلق، علي المطلق، سليمان بن دخيل، ناصر بن دغيثر، سليمان القصير، إبراهيم الأحمد الرواف، محمد إبراهيم الربدي، عبدالعزيز إبراهيم الربدي، علي إبراهيم الربدي، عبدالعزيز العبدالله

الصقير، إبراهيم النجيدي، محمد الحمد المديفر، عبدالرحمن إبراهيم الحجيلان، إبراهيم المحمد السويلم، حجيلان إبراهيم الحجيلان، عبدالعزيز الحجيلان، عبدالله إبراهيم البطين، محمد إبراهيم البطين، سليمان التويجري، عبدالرحمن ابراهيم المجيدل، عبدالله الحليسي، صالح العبدالله السمحان، علي العبدالعزيز الحليسي، عبدالله العبدالعزيز السمحان، عبدالله بن محمد الغيث، ناصر الغيث، سليمان العلي أباالخيل، فهد النصار، إبراهيم أباالخيل، سليمان الحسن المهنا، محمد بن عبدالله العوني، عبدالرحمن الهدية، عبدالعزيز الأحمد الرواف، عبدالله القوسي، حمود الفهد، مسلم العمير، قاسم الرواف، محمد العلي الفايز، ناصر القوسي، سالم بن علي السولو، محمد الشريان، عبدالله الأحمد، عبدالله المبارك الحميد، عبدالله العثمان الدبيخي، موسى عبدالرحمن الشريدة، علي الشريدة، منصور السليمان الجربوع، إبراهيم السليمان الجربوع، محمد العبدالعزيز المديفر، سليمان الناصر الوشمي، إبراهيم المحمد العويد، مسلم إبراهيم الفرج، محمد العلي الشويرخ،

إبراهيم النودلي، فهد القسومي، علي المحمد الشويهي، حمد المحمد السعيد، عقل الناصر الرواف، عبدالعزيز الحماد، فايز القليش، حماد الحماد، محمد وإبراهيم وعبدالعزيز وسليمان الراشد الحميد، عبدالله المحمد السعيد، عبدالله الصالح الربدي، عبدالله الحمد الحنيطة، علي السليمان السعوي، محمد السليمان السعوي، محمد الجلوي الفهد الصقعبي، عبدالله الفهد الشريدة، عبدالله المحمد الشريدة، إبراهيم وسليمان اليحيى، حمد المحمد الشعبان، سليمان النجيدي، سعود النجيدي، عبدالرحمن بن حسون، صالح القحص، دهش العثمان، ناصر العساف، عبدالله ومحمد العساف، محمد العرفج، عبدالعزيز القصير، عبدالعزيز المحمد السعيد، صالح الرميان، محمد الصبيحي، إبراهيم وفهد وناصر العبدالله الصبيحي، دخيل الجفاك، محمد إبراهيم الصبيحي، علي الفهد الصبيحي، محمد العبدالعزيز الغصن، محمد الناصر الغصن، عبدالله ا لصالح المطلق، حسن العقيل، صالح الأصقه، عبدالله ومحمد العمرو، محمد السلوم، عبدالله الشبرمي، صالح الباحوث، محمد وإبراهيم المكيرش، محمد القفيدي، محمد وتركي وصالح العبدالله العطيشان، محمد وسليمان المحيسني، سليمان العبدالرحمن الهدية، عبدالله وصالح السليمان الجربوع،

فهد العبدالرحمن الخطاف، عبدالله إبراهيم الجربوع، عبدالعزيز بن محمد بن حمد المطوع، حمود العبدالرحمن الخطاف، عبدالله إبراهيم الرشيد، عبدالعزيز الشيبان، سليمان هزاع، حمود الحوشان، عبدالله الشماسي، عبدالعزيز المعين، ناصر الرواف، فهد الحمود البراك، إبراهيم العبدالله النصار، عبدالله الحمد الدبيخي، سليمان السويد، عبدالله الفلاح، عبدالله الفهد القرعاوي، صالح الفهد الرشودي، علي الخلف، علي القسومي، عبدالله العبدالكريم البراك، صالح الدبيخي، علي العبدالعزيز التويجري، عبدالعزيز الحمد العبيد، عبدالعزيز وعبدالله المحمد السويلم، عبدالعزيز العبدالله البطين، عبدالرحمن الزايدي، عبدالله ومحمد السمحان، محمد الزومان، عبدالرحمن البازعي، إبراهيم وعلي الحمزة، عبدالله البازعي، عبدالعزيز المقبل الجميل، صالح العبدالله الغنام، راشد القليش، علي الملحم، محمد الدريبي، عبدالعزيز العليط، محمد العليط، سليمان وعبدالرحمن الحصان، علي المحيسني، سليمان الهدياني، محمد العبدالله الشقاوي، حمد وسليمان الصالح المطوع، محمد العبدالعزيز الربدي، صالح السليمان السلومي، محمد وعلي الرشيد العمرو، محمد العمرو الرشيد، محمد الحمد المديفر، علي المحمد الدخيل، صالح المحمد الرشيد، يوسف وصالح وفهد السعد العظامي، عبدالله السلومي، عقيل السليمان، عبدالله الزمامي، إبراهيم الفالح، مقبل السليمان الرشيد، عبدالكريم الأصقه، عبدالله وعبدالعزيز اللهيب، حمد المنيف، عبدالله إبراهيم المنيف، مزيد إبراهيم الخطاف، إبراهيم الصالح المطوع، صالح الحمد العبيد، سليمان العبدالله المشوح، محمد العبدالرحمن الطويان، سليمان المحمد الجربوع، عبدالعزيز العلي التويجري، عبدالله وصالح العبدالكريم الطويان، إبراهيم الطويان، صالح العبدالله الخضيري، صالح السليمان العبدالله الجربوع، محمد وصالح وإبراهيم العبدالعزيز الجربوع، صالح وعلي الفهد السعيد، صالح الشيبان، سليمان ومحمد العلي الفضل، محمد بن عبدالله العويسي، علي العبدالرحمن الهدية، رشيد المحمد الجربوع، سليمان المحمد الرشيد، جارالله الصالح البريدي، عبدالرحمن السعيد، علي السعيد، علي العبدالعزيز التويجري، ناصر العلي الجاسر، يحيى الصالح السيف، علي الفهد الرشودي، سليمان الفوزان العثمان، محمد العياف، صالح العبدالله القوسي، ناصر العبدالله القوسي، عثمان السجاء، عبدالله الناصر السديري، عيد المحمد

العيد، محمد بن يوسف القبلان، عبدالعزيز الشقيران، عبدالله الفوزان العثمان، علي الفهد العييري، عبدالله العلي الربدي، عبدالله وفهد العبدالعزيز الربدي، سليمان الصالح الجعيثن، رميان الصالح الرميان، صالح العبدالعزيز المديفر، عبدالله المحمد العجاجي، محمد العبدالله الصالح المديفر، سليمان الراشد الحميد، عبدالله المحمد المديفر، علي الصالح الربدي، عبدالله الهدلق، سالم وفايز العلويط، حمد المحمد الربدي، صالح وإبراهيم العبدالعزيز الجاسر، عبدالله المحمد الحنيشل، سليمان إبراهيم اليحيا، إبراهيم العلي الدخيل، صالح العبدالرحمن الحصان، محمد الرقيبعي، حمود العبدالله التويجري، عبدالله العقل، إبراهيم العبدالله المبارك، صالح ومحمد الوشمي، إبراهيم وعبدالعزيز العبدالله الزمامي، حمد المحمد الرشيد، عثمان المحمد الفريج، محمد الفريح، عثمان العقل، حمد وعبدالعزيز الأحمد، محمد الصعقوب، علي العبدالعزيز الربدي، محمد الفهد العييري، محمد الفهد الشريدة، محمد إبراهيم العويد، فهد المحمد السلوم، عبدالله السليمان الحنيشل، دخيل السليمان القبلان، محمد السرور السليمان، علي الغنام، محمد العبدالرحمن الخطاف، محمد المحمد العبيد، سليمان الرشيد العمرو، خلف العلي الخلف، عبدالكريم الرسيني، صالح العبدالله الغنام، سعد الهديب، سليمان وفهد الصبيحي، علي المكيرش، علي وركف وحمد الركف، عبدالعزيز المحمد الصييفي، عبدالعزيز ومحمد وصالح القفيدي، صالح الهويش، خالد ومشاري الهدلق، براك العلي، براك الناصر، حمد الزايدي، عبدالله الدغيم، عبدالله السليمان البداح، علي الرشدة، محمد الحمد الغنيم، عبدالكريم اللهيب، سليمان وصالح العياف، مبارك العودة، عقيل الحمد، موسى وعبدالله الدبيان، علي السلطان، سليمان إبراهيم الجربوع، سليمان إبراهيم الخطاف، محمد العبدالله العويد، عبدالله المحمد العيد، عثمان العبدالله الدبيخي، فهد العبدالعزيز العجاجي، عبدالعزيز وأحمد المحمد الدخيل، عبدالله العبدالعزيز المديفر، محمد النويصري، عبدالله الصالح الجعيثن، محمد وعبدالعزيز التويجري، يوسف وأحمد إبراهيم الرشودي، صالح العبدالله الصعب عبدالعزيز المحمد السلوم، صالح البديوي، محمد العبدالله البطين، عبدالرحمن وإبراهيم العبدالله الصالح المديفر، صالح العبدالله البطين، سليمان المحمد الحمد المديفر، إبراهيم العبدالعزيز المديفر، علي المحمد الشريان، سليمان المحمد الدريبي، صالح السليمان الحصان،

إبـراهيم العبدالله السمحان، سليمان العبدالله المحمد المديفر، إبراهيم العبدالعزيز العجاجي، محمد إبراهيم السليمان الجربوع، محمد اللهيب، علي العبدالله اللهيب، علي العبدالعزيز العليط، عبدالعزيز المحمد الرشيد العمرو، يحيى إبراهيم اليحيا، منصـور العبـدالعـزيز المعين، محمد العلي الفهد الرشودي، إبراهيم العلي الخلف، عبدالكريم العبدالله البراك، عبدالله السليمان الفوزان، حمد إبراهيم العويد، عبدالله العلي الخلف، سليمان العبدالله الجربوع، عبدالعزيز إبراهيم الجربوع، إبراهيم المسلم الفـرج، صالـح إبراهيم العويد، رشيد المحمد الرشيد، محمد العبدالله الدبيخي، صالح إبراهيم الراشد، إبراهيم الصالح الخضيري، ناصر السليان الجربوع، إبراهيم السليان الجـربـوع، عبـدالعـزيز الفهد الشريدة، محمد العبدالله الشريدة، عبدالله السليمان المـطوع، محمد الحمد المطوع، عبدالله الحمد المطوع، عبدالعزيز إبراهيم المطوع، محمد الحمد السعيد، إبراهيم الغضية، محمد الفريجي، سليمان وعبدالرحمن الحمـد السغيد، عبـدالله المحمـد الـدريبي، سليمان المحمد العبيد، حمد العبدالله الحنيطة، حمد المبـارك الحمـد، سليمان المحمد الشويرخ، محمد الحماد، عبدالرحمن السمحان، غنام الفهد الغنام، محمد العبدالعزيز المعين، محمد العبدالعزيز الجربوع، محمد اللهيب، سليمان الدهش العثمان، فهد محمد الشويرخ».

هذا الكم الكبير عاد إلى بلاده . . . وأسهم في نهضة البلاد وبقي عدد كبير من الأسر في مصر وسوريا والعراق والأردن والسودان وفلسطين ومازالت تلك الأسر على صلة بذويها.

ويأتي على ألسنـة عقيل كلمات بعضهـا فصيح وآخـر عامي تحولت من كثـرة الاستعـمال إلى شبـه مصطلحات. فعن توجهاتهم يقال شرقوا أو غربوا وعن أثاثهم ومستعملاتهم يطلقون كلمة «ثاية» و«زهاب» وكلمة «ثاية» تطلق على المستعملات. وكلمة «زهاب» تطلق على المأكولات. فمن «الثاية» «الدلال» و«البرقان» و«المحماسة» و«النجر» و«الملقاط» و«الطاسة» و«القربة» و«الحوض».

وقد تشمل «الثاية» المستعملات للرواحل مثل «الشداد» و«الميسامة» و«الميركة» و«الحداجه» و«المزودة» و«الخرج» و«الكسوة» وهو ما يلبسه الانسان ويشمل «الحذيان»

و«الكنادر» و«البيتون» و«الزرابيل». وهذه تلبس بالأقدام. و«المشلح» و«العباءة» و«الحياكة» و«البيدي» وهذه تلبس للزينة والتدفئة فوق اللباس ولباس الزينة مثل «السديرية» و«الزبون» و«الصاية» و«البدلة» و«العقال» و«الشال» و«الشماغ». أما المأكولات فقد ذكرناها في حديثنا عن الفلكلور الشعبي.

وهناك كلمات عامة أورد بعضها المسلم في كتاب العقيلات مثل [مراح، مضحى، معشى، مُصَدَّره، وارده، رفق، دليلة، راعي، ملحاق، آشكي، معدى، ميسم، صميل، مقام، رشاء، رحول، بكره، هرش، رسن[1]] وهي كلمات تستعمل لهم ولغيرهم وتعتبر من الكلمات العامية التي ترجع إلى أصول عربية وغير عربية وقد تكون الدلالة عامية والصيغة عامية وبالعكس، وقد تكون عربية الصيغة والاستعمال ويقوم العلامة العبودي بجمع الكلمات العامية في نجد وردها إلى أصولها العربية.

---

١) ص٥٢.

الحياة الأدبية

مملكـة ناشئـة نامية تشـع في آفاقها معاقل العلم، عبر سَبْع جامعات متنوعة الأغراض، والأهداف، والتخصصات متحدة المنازع، إلى جانب أندية أدبية ودر للنشر ومؤسسات علمية ومكتبات وصحف ومجلات متخصصة مع ما يؤازر ذلك من انفتاح أتاح للمفكرين والأدباء والصحفيين العرب الإسهام في هذه النهضة المباركة كل ذلك جعل الحياة الأدبية نابضة فاعلة.

ومدينة «بريدة» كأي مدينة من مدن المملكة لها النصيب الأوفى من هذا الرصيد النامي في سجلات النهضة العلمية والفكرية؛ ففيها فرع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وفرع لجامعة الملك سعود، وكلية بنات، ومدارس ومعاهد، ومكتبات عامة وخاصة، وناد أدبي، وجمعية للثقافة والفنون، وجمعية خيرية، وأندية رياضية، ومركز إعلامي، وفرع للمطبوعات وست مطابع حديثة أهلية. كل هذه يرفدها فيض من العلم، وفيض من الأدب تحمله عصبة من الشباب المثقف.

وإذا كان من الحتم أن نلقي بعض الضوء على الحركة الأدبية من خلال الأنشطة المفتـوحـة، والمبرمجة فإن هذا يستدعي إفاضة طويلة تلوي مسيرة العمل عن مساره المـرسـوم إلى حيث يكـون هذا اللون من المعطيات الحضارية لكن الإلمام السريع، واللمحات الخاطفة ربما تكون مغنية عن الإطالة والإطناب.

في بريدة حركة أدبية تبشر بخير، وما قدمناه من تراجم لبعض العلماء يلقي بعض الضوء على ما تزخر به مدينة «كبريدة» من نمو فكري وأدبي. ولولا ما تعايشه الأمة من

نهضـة عمرانية وزراعية، وحركة تجارية، وما تُضارب فيه من أموال طائلة استهلك الوقت والجهد لكان للأدباء والعلماء والشعراء في هذه المنطقة شأن أكبر وأوسع. لكنها ضريبة الثراء، وحمى التكاثر صرف الكثير عما هو أسمى وأبقى.

ففي مجال التاريخ، والعمل التراثي، نجد العلامة محمد العبودي يتصدر هذا المجـال بما قدمـه من مؤلفات عديدة كالمعجم، والأمثال، وكتب الرحلات والتراث الشعبي، وكـذلك الشيخ إبراهيم العبد المحسن العبيد بتاريخه. ومن جيل الشباب الأستاذ صالح بن سليمان الوشمي الذي أسهم في قطاع الصحافة والتأليف في مجال التاريخ وخاصة ما يتعلق بالتراث. ومن حول هؤلاء كتاب ومؤلفون في مختلف المجالات وقد أتاحت الدراسات العليا لعدد من الشباب فرصة التخطي الواثق إلى آفاق العلم والأدب.

وفي مجال الشعر نجد العدد الكبير من الشعراء الشباب والشيوخ الذين كانت لهم تجارب إيجـابية تنبيء عن أصـالـة شاعـرية وإحساس يقظ كالشاعر عبدالعزيز النقيدان[1] والشاعر محمد بن سليمان الفوزان، وإبراهيم بن عبيد وفهدالسعيدوالدكتور الشـاعـر أحمـد اللهيب، والشـاعر عثمان الصوينع، والشاعر صالح الوشمي. وقد صدرت لبعض أولئك دواوين شعر وكتب في الأدب والتاريخ.

وفي مجال الفكر الإسلامي الواعي نجد الشيخ عبدالعزيز المسند[2]، والشيخ صالح بن سليمان العمري[3] وصالح بن عبدالعزيز بن عثيمين.

وفي مجال الفلك نجد الشيخ المربي عبدالله بن إبراهيم السليم[4].

---

١) صدر له ديوان «ترانيم الرمال».
٢) صدر له مجموعة من الكتب.
٣) صدر له كتاب عن علماء آل سليم.
٤) صدر له كتب في علم الفلك والحساب.

وفي مجال العلم المتخصص نجد مئات الشباب الذين يسدون فراغات التعليم في كل مستوياته. ففي كل الجامعات شباب أشداء من أبناء بريدة حصلوا على شهادة الدكتوراه من داخل المملكة وخارجها فعادوا للإسهام في النهضة المباركة.

وكما قلت فالمنهج والمجال لم يكن مجال حصر لكل المواهب وإنما هي لمحات تضع يد القارىء على أول المدرجة، وحسبه أن يكون على أول الطريق لينظر من خلاله إلى الأفق البعيد.

أما في مجال الشعر الشعبي أو العامي فهناك شاعر السياسة والحرب محمد بن عبدالله العوني الذي ولد سنة ١٢٧٠هـ في بريدة وتوفي عام ١٣٤٢هـ وكان والده معلم بناء ماهر نفذ كثيرا من حصون بريدة ومساجدها كمسجد عودة الرديني عام ١٣٠٨هـ. لقد لعب أدوارا مهمة على مسرح السياسة في شبه الجزيرة العربية وأسهم في إشعال الفتن بين القبائل والحكومات. قضى حياته بين ابن رشيد وابن صباح وابن سعود وله قصائد عصماء مثيرة فمن اعتذارياته قوله:

شف ما تشوف ودبر ما تدبره   أنا بعير إطْمِع به وانت خيالي
قل يا حما الدين والدنيا وزينتها   فوق الوطا بالخطا من كل الأجيالي
خادمك يطلبك الغفران والرضا   وانتم هل العفو يا ماضين الأفعال
يا بوفهد شاهر المعروف والثنا   والمجد البيض ترفع له على العال

وله قصيدة الخلوج المشهورة التي مطلعها:

خلوج تجر الصوت باتلي عوالها   وان طوحت صوت تزايد اهجالها
تهيج مفجوع الضمير بحسها   تكسر بعبرات يحطم اسلالها

وله «التوبة» وهي من أجود شعره وأكثرها تأثيرا يقول في مطلعها:

ياالله يا والي على كل والي   يا خير من يدعى لكشف الغليلة
يا مالك المخلوق محصي الرمال   والكون والدنيا ومن به فهي له

إلى أن يقول:

يا فزعــة المـضـيوم منشي الخـيالي　　يا فارج الـشــدة ولــو هي ثقــيلة
ادعــوك باســماك الـعـظام الجـزالي　　ويــحق ما خصيت لك من فضيلة
تزيل كربــات علينــا ثقــالي　　تقــطعــت مالي سوى الله دلــيلة
آمــن على قلب يجول اجــتــوالي　　يا مسكن الــروعــات سكن جفيلة[1]

ومنهم محمد آل علي العرفج من رجال بريدة وأمرائها المشهورين من آل أبوعليان ويكنى أبازيد. ولد في بريدة في مطلع القرن الرابع عشر وتولى إمارة بريدة عدة مرات من سنة ١٢٣٧هـ إلى أن عزله الأمير تركي بن عبدالله آل سعود سنة ١٢٤٣هـ ثم توفي مقتولا على يد أبناء عمه سنة ١٢٥٨هـ. وهي الفترة التي حصلت فيها الفوضى والفتن بين أمراء بريدة من آل أبي عليان.

وهو شاعر غزل له قصائد رائعة في الحنين والشكوى والوصف وهو من أصحاب المطولات يقول بعد نفيه من بريدة:

هيض الـغــرام ويــاح ما كنت كامي　　وامــن العبــاير هاض ما كان مكتــوم

ثم يوجه حديثه إلى بلدته التي أخرج منها:

دار بها الــداشر غدا له سنــامــي　　يأخــذ عليهــا منـعـم الــرأي معلوم
الحــر يا صبــيان وان ضيم شامــي　　والــدر بالـسـكــر مع الهـضم زقــوم

وقد كان بينه وبين الشاعر المشهور ابن ربيعة محاورات ذكرها وترجم له وساق طرفا من قصائده صاحب كتاب «خيار ما يلتقط من شعر النبط» ص٢٣/٢.

ومنهم محمد بن صغير وهو شاعر سياسة وحرب لا يقل في إثارته عن العوني.

١) «أخبار ما يلتقط من شعر النبط» ت عبدالله الحاتم ٢/٢٧١.

ولـد عام ١٢٨٠هـ ومـات سنة ١٣٢٤هـ وكان من المحبين المغالين في حبهم لبريدة يقول في ذلك:

لو نخـير بالـدير ما نـبي غيره   لو تبـاع وتـشـترى كان نشريهـا

وله قصائد حماسية وتحريضية.

ومن الشعراء الشعبيين علي بن طريخم ومحمد العيدي وصالح الجارالله وإبراهيم ابن خلف ومحمد بن سليمان الفوزان، ومن الشاعرات حصة الفوزان، والعرفجية لولوة العرفج المعروفة بشجاعتها وإقدامها.

بريدة على لسان الشعراء

لم يكن بدعا أن يتغنى الشعراء من مختلف الأقطار العربية بمدينة كبريدة ذات جوانب طبيعية وإنسانية وعلمية، ولو أتيح لكل باحث أن يفرغ لجمع ما قيل من شعر في بلد «ما» لكان ذلك فيضا من العطاء الراصد للمشاعر والانطباعات. فالحب مشاع بين الديار وما حباها الله به من طبيعة خلابة وجمال أخاذ وبين من سكن الديار والحنين إلى الأوطان. وبكاء الأطلال بعض هذا العطاء. وما سنورده هنا بعض ما قيل في بريدة كدليل على الوفاء ورد الجميل لمدينة موطأة الأكناف معطاء يجد بها كل وافد دفء الحياة ورغد العيش. فهذا الشاعر السوري محمد عالي الحمراء المعروف بـ«علي دمر» يقول عن مدينة بريدة[1]:

مازلت أبحث في الأكوان عن عرب ... صافين ما اختلطوا يوما بأعجام
أقحاح أحرار ما شابت طبائعهم ... عادات مجلوبة من شر أقوام
حتى نزلت على نجد بزاهية ... من القصيم لدى ماء وأنسام
بريدة بردت فيها المياه لدي ... خضر الخمائل في سهل وآكام
لما بدت لي وجوه القوم بادرني ... دمع السرور بأخوالي وأعمامي
حضيت بالعرب العرباء يا فرحي ... وردت ينبوع أخلاقي وإسلامي
أرى بهم صورة الماضي الذي عبقت ... من طيبة الأرض من شرع وأحكام
أرى بهم شكل أجدادي الأولى حملوا ... للعالمين ضياء المبدء السامي

١) عمل في بريدة مدرسا، ثم رحل، وعاد إلى المملكة يمارس التعليم وتوفي رحمه الله. وكان إلى جانب ذلك كاتبا بارعا وناقدا حصيف الرأي عرفته مع بعض زملاء الدراسة في مطلع شبابنا فكان خير مرشد ومعين، له مجموعة من الدواوين المطبوعة.

وهذا الشاعر السعودي «محمد بن سليمان الشبل» من مدينة عنيزة ومن رجال التربية والتعليم يحيي بريدة بهذه القصيدة تحت عنوان «الروضة الخالدة» ويقدم لها بهذه القطعة النثرية الرائعة:

من قلبي، من صميم فؤادي أرسل هذه الأنغام تحية صادقة إلى تلك المدينة الخالدة مدينة «بريدة» تلك المدينة التي تعشقت فيها الحياة الباسمة والمجد الخالد، حقا لقد سحرتني تلك الحياة الجميلة الوارفة، التي شاهدتها بين تلك الربوع فانطلقت أشدو بهذه الألحان:

تطوف على دنـيا «بـريدة» شعـلة ... من المجـد ضجت بالتقـدم دنياهـا
لها من شبـاب الجيل حصن ومنعـة ... تخوض غمار المجـد في ظل مغـزاهـا
يلوح بها فجـر الـتـقـدم ساطعـا ... فيغمـر بالإشعـاع منهـا سجاياهـا
ويطرقـهـا ركـب الحضـارة خافقـا ... ليجلو بها من نعمـة الحسن أسماهـا
فيبـهـر أفـق الكـون صوت حياتهـا ... إذا ما سبى من دفعـة النور أبهاهـا

وهذا الشاعر عبدالعزيز المحمد النقيدن يخاطب مدينة «بريدة» وهو من أبنائها:

رأيت بك الـفـتـوة والـشـبـابـا ... كأن الـشـمس تمنحـك التـهـابـا
فمـن شعـل الـنـجـوم لبست ثوبـا ... ومـن حلل الجـمال أرى اهـابـا
حديث الـنـخـل يهمس في صفـاء ... يعـانـق في المـسـا تبرا مذابـا
أتـيـتـك مثـقـل الأعـبـاء لكـن ... رأيت بوجـهـك القـبـل العـذابـا
حديث الـرمـل يحتضن العـذارى ... ويرشـف من ثمالـتـهـا رضـابـا
عروس الحسـن ما أغـمـضت عينـا ... ومـا أوصـدت للأقـدام بابـا
مددت يدا لنهـضـتـنـا فكـانـت ... يد الإخـلاص تجتـاز الـصـعـابـا
عروس الحـسـن أنـت على طريق ... بغـير الـعـلم لم ندرك غلابـا
وغـذي الـسـير فالآمـال نشـوى ... إلى مجد نحـوز به الـطلابـا
فما حاز المـكـارم غير ساع ... قد اتخـذ الـعـلوم له ركـابـا

وهنـاك قصـائد أخرى للشاعر مقبل العبسي، وللدكتور الشاعر أحمد اللهيب وللشـاعـر عثمان الصوينع وللشاعر الشيخ سليمان العبودي صرفنا النظر عنها لضيق

المجال وسيكون لها مكان آخر إن شاء الله. , وقصائد أخرى لابن معارك، وللشاعر صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين ساق طرفا منها العبودي في معجمه ص ٢/٤٥٩ .

ومن أجمل القصائد قصيدة للشاعر السعودي أحمد سالم باعطب... قال فيها محييا بريدة وأبناءها:

أنا يا بريدة جئت أطفى غلتي | من كل ما حفلت به أرصادي
أنا قد ولدت على بساطك عاشقا | وكتبت أنت شهادة الميلاد
تيهي بريدة وازدهي وتبختري | يا قبة العلماء والزهاد
تيهي ففي عينيك لوحة نهضة | منها تشع شمائل الرواد



الصحـافة

كان لأبنـاء بريدة دور مبكـر في نهضـة الصحافة داخل وخارج المملكة يقول الدكتور محسن عياض عجيل في كتابه «الصحفي السياسي المؤرخ النجدي سليمان بن صالـح الـدخيل» ص ١٧ : كان الأستـاذ الدخيل دون شك رائدا من رواد العمل الصحفي في المشرق العربي وواحدا من الرعيل الأول من الصحفيين العرب الذين مارسوا مهنة الصحافة ووضعوا قواعدها وتقاليدها وقد كان أول نجدي مارس الصحافة كما يقول العلامة حمد الجاسر في مجلة العرب المجلد الخامس ص ٤٦٩ سنة ١٩٦٧م.

وقد أسس الأستاذ الدخيل وهو من مواليد بريدة عام ١٢٩٠هـ جريدة الرياض متخذا إسمها من قاعدة نجد فصدر العدد الأول عام ١٩١٠م واستمر صدورها حتى ١٩١٤م. وكانت جريدة أسبوعية من أبرز صفاتها العناية بالأخبار النجدية.

وقد أشاد بإسهامه عدد من مؤرخي الصحافة العربية أمثال عبدالرزاق الحسين والعـلامـة الكـرمـلي، ورفـائيل بطي. ومن بعدهـم العلامة حمد الجاسر. كما أصدر بالاشتراك مع إبراهيم العمر العدد الأول من مجلة الحياة وهي مجلة شهرية تبحث في السياسة والاقتصاد والتاريخ. ولكنها توقفت بعد العدد الرابع. وبعد انقطاع طويل عاد إلى العمـل الصحفي فأصـدر جريدة «جزيرة العرب» إذ رأس تحريرها وهي جريدة سياسية أسبوعية.

وإذا كان سليمان الدخيل قد برح أرضه وعمل في القطاع الصحفي العربي. فإن جريدة «القصيم» الأسبوعية التي صدرت في بريدة أنشأها أبناء بريدة فكان امتيازها

للأستاذ عبدالله العلي الصانع وقد صدرت عام ١٣٧٩هـ الموافق ١٩٥٩م ثم تحول امتيازهـا للشيخ صالـح بن سليمان العمـري. وتوقفت عن الصدور بعد قيام نظام المؤسسات وكانت جريدة أدبية اجتماعية كتب فيها عدد من الأدباء والصحفيين وخاصة أبناء مدينة بريدة أمثال عبدالعزيز المسند، عبدالعزيز التويجري الذي رأس تحريرها ثم رأس تحرير جريدة الرياض ومازال يسهم بين الحين والآخر وأمثال عبدالعزيز النقيدان وصـالـح السليمان الـوشمي وعبدالله العليان وإبراهيم المديفر وضحيان العبدالعزيز وناصر العمري. وعثمان الصوينع وغانم العبدالله الغانم، وعلي بن عبدالله الخليفة، ومحمد بن صالح الرجيعي، ومن قبل أولئك المرحوم علي بن عبدالله الحصين، والمرحوم سالم بن ابراهيم الدبيب.

وبعد قيام المؤسسات الصحفية فتحت مكاتب لكل صحيفة وقام بأمرها من أبناء بريدة عدد لا يستهان بمجهوداتهم الخيرة.

وفي منتصف عام ١٤٠١هـ أصدرت الغرفة التجارية بالقصيم مجلة متخصصة باسمها واهتمت بالأنشطة الأدبية.

أهمية بريـدة

قال ابن بليهد «جميع القصيم يعد من ملحقاتها».
وقال: «وجميع الحدود التي حددناها سابقا للقصيم تابعة لها».
وقال حافظ وهبه: «وهي من أكبر المدن النجدية وأحسنها نظاما ونظافة وطرقها أوسع من طرق الرياض القديمة ومن طرق أكثر البلدان النجدية».
وقال لويمر: «مدينة مهمة في نجد».
وقال توتشل: «وهي في الحقيقة أحد مراكز نجد البعيدة الشهرة».
وقال: «إنها من أنظف الأسواق النجدية وأكثرها تجارة وحركة».
وقال عمر رضا كحالة: «وهي من أكبر المدن النجدية».

تلك بعض أقـوال الـرحـالة والمؤرخين، التي نقلها بطولها الشيخ العبودي في معجمه[1]، ومن الرحالة الذين تحدثوا عن أهمية بريدة «أمين الريحاني» في كتابه «ملوك العرب» وهو الذي وصفها «ببدوية القصيم» وجعل الخبوب التي تطوقها كقلادة الزمرد في خيط الذهب وقال عنها: «بريدة مدينة تجارية ليس لأهلها وقت لغير الاتجار والصلاة»[2].

وأهمية بريدة في الماضي تكمن في عدة محاور. فالتاريخ الحربي الممتد من بداية القرن العاشر الهجري وحتى استتباب الأمر للملك عبدالعزيز طيب الله ثراه على مدى

١) معجم القصيم الجزء الثاني من ص ٥٥٨ إلى ٥٧١.
٢) ملوك العرب الجزء الثاني ص ١٢٧/٢.

أربعة قرون، حافل بالغزوات والحروب التي خاضها الخصوم حول أسوار بريدة وخاضها رجال بريدة تارة مع آل سعود وأخرى مع آل رشيد وثالثة مع المنتفق، خاضوها دفاعا عن أنفسهم، وخاضوها دفاعا عن إمامهم، وخاضوها دفاعا عن عقيدتهم. ومع الزمن تستمر قوافل الجيوش من تركية وعربية، حاضرة وبادية، لتبلغ ذروة آمالها حول أسوار بريدة، وبريدة وأهلها في كل معركة، هازمون تارة ومهزومون أخرى. وحين يحتدم النزاع حول القصيم وحول بريدة بالذات يلوح في الأفق تحييد القصيم وجعله فاصلا بين ابن رشيد وابن سعود. لكن التقويم الاستراتيجي والاقتصادي للمنطقة يقضي برفض ذلك. وحين تتحطم آمال الغزاة وتموت في أعماقهم كل الآمال والمطامح يجمعون فلولهم ليذعن الجواد الجامح لفارسه المغوار.

ويدخل القصيم وفي مقدمته مدينة بريدة في رحاب حكم قوي عادل وتطوى صفحات الأساطير، وينزع الغل من النفوس، وتتقلص الإحَن، وتتلاحم بلاد القصيم في صف واحد بكل إمكانياتها الاقتصادية والبشرية ليأخذ مكانه في صفوف المقاتلين تحت لواء ابن سعود ثم تتحول راية الجهاد بعد حسم كل الخلافات إلى رايات بناء وحرث وتصنيع وتهرع الأجيال الشابة في عصر ربيعي تتدفق فيه الخيرات من كل جانب للبناء والتعمير.

أدام الله هذا الرخاء والاستقرار والأمن ووفق الله الجميع للشكر الذي به تدوم النعم «ولئن شكرتم لأزيدنكم».

المركز التجـاري

تعـد مدينة بريدة في الماضي والحاضر مركزا تجاريا مهما وهذه طائفة من أقوال المؤرخين والمستشرقين والرحالة عن الجانب التجاري .

يقول أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب : «وهي أكبر سوق لبيع البعارين بالمزاد في البلاد العربية»[1] .

ويقول في موضع آخر: «وليس لأهلها وقت لغير الاتجار والصلاة» .

ويقول: « وهي محط رحال البدو من مطير وهتيم ، وعتيبة وحرب وغيرهم يجيئونها للبيع والشراء»[2] .

وقال ابن بليهد : «يتجرون في الإبل وفي السنين الأخيرة اتجروا في جميع أنواع التجارة»[3] .

وقال المستر توتشل : «ويعتقد أن بريدة أعظم سوق للإبل في العالم» .

---

١) ملوك العرب جـ ٢ ص ١٣٣ .
٢) ملوك العرب جـ ٢ ص ١٢٧ .
٣) صحيح الأخبار ١/١٥٤ .

وقال: «وتعتبر بذلك مركزا اقتصاديا للبلاد على أوسع مداه».

وقال الأستاذ عمر رضا كحالة: «وتربى في «بريدة» وما يليها الإبل والغنم ويصدرون للخارج الزائد عن الاستهلاك المحلي، وكذلك يعنى فيه بتربية الخيول وتصدر إلى البلاد الواقعة شرقيها وشماليها»[1].

ومن تجارة الإبل عرف العقيلات الذين يقومون برحلات تجارية إلى الشام ومصر والعراق يجلبون بضائعهم ويشترون ما تتطلبه نجد وللعقيلات أساليبهم في الإقامة والظعن وفي رعاية البضائع ونقلها وحمايتها ولهم ذكريات طريفة ذكرنا طرفا منها في موضعه.

من هذا تتضح أهمية بريدة ومركزها التجاري، ويحسن أن نعطي لمحة تاريخية عن أسواق بريدة التجارية عبر السنوات الماضية وحتى الآن.

أول مكان عرف لتجمع التجار وبيع المجلوب إلى بريدة من إنتاج البادية ونمائها وما يرد إليها من أطعمة، ومنسوجات هو[الوسعة] مأخوذة من الاتساع، وهي على زمن حجيلان بن حمد، أو ربما كانت على زمن مقرن بن حجيلان الذي ذكره مقبل الذكير في تاريخه.

و«الوسعة» هي مكان «المقصب القديم» الذي يشغله الآن قسم من باعة الأقمشة والمصاغ جنوب مسجد بريدة الكبير. ويمتد السوق إلى [قبة رشيد] نسبة إلى رشيد بن سليمان الحجيلان الذي قتل عبدالله بن حجيلان عندما أسر الأتراك والده وذهبوا به إلى المدينة. وتقع الدكاكين على جوانب الوسعة حتى تنتهي إلى قبة رشيد، ولا تصل الوسعة إلى هذا المدى. والدكاكين موزعة إلى أقسام حسب نوع البضاعة. واستمر هذا السوق إلى منتصف القرن الثالث عشر تقريبا.

---

١) معجم بلاد القصيم ٢/٥٦٣، ٢/٥٦٤.

ثم انتقل السوق إلى «الوسعة» الثانية الواقعة شمال الجامع الكبير، ومازالت معالمها قائمة إلى الآن، وتشغل الآن ببعض الباعة لمختلف البضائع، وقد دخلت بالتوسعة الجديدة شمال الجامع وقد امتدت الحوانيت باتجاه الشمال فكانت إلى جانب الوسعة من الشمال حوانيت [الخرازين]. ثم حوانيت [الصناعين]. ثم حوانيت [النجارين] ودخلت في توسعة «شارع الصناعة» الذي سمي بهذا الاسم لوقوع أصحاب الحرف فيه سابقا أما الآن فهناك قلة من المسنين الذين يمارسون بعض هذه الحرف في الموقع.

على أن «الوسعة» القديمة لم تفقد حركتها التجارية بعد الانتقال إلى الوسعة الجديدة، بل استمرت إلى جانبها في استيعاب الحركة التجارية النامية. ثم بعد ذلك انتقل السوق إلى «الجردة» المعروفة حاليا. يقول عنها الاستاذ العبودي: «هي الميدان الواسع الرئيسي في مدينة بريدة منذ سنين» وقال: «وكانت الجردة عندما أنشئت أكبر ميدان في مدن نجد على الإطلاق».

وقد تم الانتقال إليها عام ١٣٤٤هـ. عندما ضاق الميدان السابق في بريدة بالمواشي.

وتقع «الجردة» شرق جامع بريدة وقد أقيمت الحوانيت على جوانبها ويقع قصر بريدة شمالها. ومن الجردة امتد سوق تجاري يتصل بالسوق القديم وينتهي إلى «قبة رشيد» ويسميه العامة «الحدرة» من الانحدارلأن الجردة تقع في ذروة النفود المحاذي لشارع الخبيب من جهة الغرب.

ثم أخذ الاتساع والنمو في أعقاب الاستقرار، والثروة واتجاه الدولة إلى التنمية المبرمجة، أخذ الاتساع في مدينة بريدة على كل الاتجاهات فهدم «قصر بريدة» وجعل مقرا للجزارين، وباعة الخضار ثم هدم الأخير وتحول إلى مواقف للسيارات وتم نقل سوق الخضار واللحوم إلى حي «سعة الله» ومن ورائه «سوق المواشي» على مساحات كبيرة روعي فيها الاتساع والشمول وصممت على أحدث الطرق.

أما أماكن البيع الأخرى فلم يكن لها مركز محدد فشارع الخبيب على امتداد عشرة أكيال تقع على جوانبه المعارض والمؤسسات والبنوك والوكالات لمختلف المعدات الثقيلة والخفيفة وأجهزة الكهرباء والسيارات والورش وغيرها. وشارع الملك فيصل يتمركز فيه أصحاب «النوفوتيه» والمجوهرات وشارع الملك عبدالعزيز للأدوات الكهربائية والمعارض الكبيرة.

وشارع الصناعة، وشارع السويد، والخالدية، والتغيرة، والوحدة وعشرات الشوارع التي لم تسم بعد فيها آلاف المحلات التجارية، هذا بالإضافة إلى الأسواق القديمة ومراكز التجارة، في الوسعتين والجردة. وهناك معارض للسيارات ومحلات خاصة للورش والمصانع التجميعية كما أن هناك سوق «الخميس» تجلب فيه مختلف البضائع ويفد عليه أبناء القصيم كافة.

لقد وصف لويمر أسواقها وحوانيتها في وقت لم تكن فيه نجد عامة على يسار فقال «يبلغ عدد الحوانيت في السوق الرئيسي ٣٠٠ حانوت وبريدة مركز تجاري مهم»[1].

١) دليل الخليج ١/٤١٣ وراجع «بريدة» للربدي ص ٢/٩١.

الزراعــة

الحديث عن مركز «بريدة» في قطاع الزراعة بالنسبة لمدن المملكة عامة، ومدن وقرى القصيم خاصة، يتطلب الوقوف على جداول الإحصاءات الزراعية. وحديث الأرقام يقطع قول كل خطيب.



والقصيم بلد زراعي منذ القدم، والصراع العسكري حول أسواره قبل ظهور الـدور الثـالث للحكم السعـودي، وأثنـاء التـأسيس دليل على أهمية هذه المنطقة، اقتصاديا، واستراتيجيا.

وعوامل نهضة الزراعة في القصيم قديما تقوم على أمور، من أهمها:

١) خصوبة التربة فهناك تربة غرينية، تشبه «الطمي» وإن لم تكن شاملة فإنها تنقل بواسطة السيارات.

٢) وفرة الماء، وإن كان البعض يراها رسوبية تشكلت كمخزون قابل للنفاد.

٣) توفر العمالة البشرية، القوية المدربة من أبناء بريدة ثم استقدام العمالة من خارج البلاد.

وقد بقي العمود الفقري للمردود الزراعي يقوم على:

١) التمور.
٢) الحبوب.
٣) البقول.
٤) الأعلاف.



الخضرة والجمال

وهذه المحاصيل موسمية، عدا «الأعلاف». فهذه المحاصيل تتطلب صناعات متعددة لنجدة المزارع الذي يستخرج «المياه» بواسطة «الإبل والبقر والحمير والخيل». ويحرث الأرض بالآلة اليدوية.

فكانت عوائد الزراعة الرئيسية تستتبع عوائد أخرى كالصناعات اليدوية لتوفير حاجة المزارع، وكالتجارة المرتبطة بحاجة المزارع، كتجارة الحبوب، والمواشي، والأدوات الزراعية المتعددة، وتصنيع هذه «الآلات»، والأدوات فقامت أسواق للخراريز، والصنانيع والنجاجير، وحين هدمت تلك الأسواق للتوسعة سمي الشارع الذي ينتظمها بشارع الصناعة وبعد التطور الزراعي والصناعي ودخول الآلة الحديثة تقلصت تلك المهن.

ومـزارع «الخبـوب» المتشـابكـة من أنشط المنـاطق الزراعية في الماضي. فكل المحاصيل الزراعية من حبوب، وتمور، وأعلاف وبقول تتقاطر إلى أسواق بريدة على ظهـور الجـمال، والحمـير في الصباح الباكر ثم تعود موقرة من جميع السلع والأدوات والملابس وغيرها.

واشتهرت أسر كثيرة في بريدة بالزراعة وجود أبناؤها فنون الزراعة فكان ذلك عامـلا مهما في استمرار مدينة بريدة بالصدارة في قطاع الزراعة بعدما تطورت فنونها وحلت الآلة محل الحيوان والإنسان ولا تقل مدن وقرى القصيم في شيء من ذلك فكل أبناء القصيم يميلون إلى الزراعة.

وحـين دخلت الآلة، سواء في الحفر أو الضخ أو الحرث سعى مزارعو بريدة لاستخـدام الآلـة على نطاق ضيق. والماء في هذه الفترة على مستوى لا يشجع على التوسع، وإن كان يسد حاجة المزارع والمثل يقول: «الحاجة أم الاختراع». لقد وقف شح الماء في طريق التوسع في الزراعة، وما عاد المزارع في بريدة متمكنا من إشباع نهمه ومن هنا بدأت فكرة التنقيب الفردي لتوفير الماء بكمية تسد الحاجة، ولما كان التاريخ لا يحفل بالفاشلين فإن محاولات كثيرة سبقت المحاولة الأخيرة، وكان مآلها الفشل، وفي هذا الصـدد كتب الأستـاذ صالح الوشمي في بحث عن مدينة بريدة «قصة الماء في بريدة» قال فيه: ففي المـاضي المـوغـل في القـدم كانت المياه وافـرة لكثـرة العيون الدارجة... وأما في الماضي القريب وبعد تقلص هذه العيون لردم الرمال المتحركة لها أصبح الماء وخاصة العذب، فيه شح يستنبطه الأهالي من أطراف المدينة ويجلبونه على الدواب.

وحـدث فجـأة أن قام مزارع في ضاحية «الـزرقاء» شمال غربي بريدة واسمه «سليمان الخريف» وذلك في أوائل عام ١٣٧٢هـ بمحاولة تعميق بئره بإنزال أنبوبة في قاعه بطريقة الحفر اليدوي البدائية.

وأضاف «وعمق الحفر إلى ١٢٠ مترا في قاع البئر... ثـم نبع الماء عذبا قويا دون ضخ إلى سطح الأرض».

وهذه تعتبر أول بئر في القصيم عموما وفي بريدة خاصة.

وهذا الاكتشاف بالصدفة مهد الطريق أمام المشروعات العملاقة، التي جلبت أحدث الحفارات، وأمهر المهندسين، وقد توالت عمليات الحفر واتسعت الرقعة الزراعية، ونشط التجار، وضاعف المزارعون جهودهم، وتحركت الأموال للاستثمار الزراعي، وتقلصت أهمية «الخبوب» حيث حل مكانها «البطين» بمزارعه الواسعة وكانت يد الدولة، مع هذا التحرك شبرا بشبر، فأنشأت «الوحدة الزراعية» التي كانت همزة وصل لوضع يد المزارع على أحدث ما وصل إليه الإنسان في قطاع الزراعة.

وكان المخلصون من أبناء بريدة يجوبون هذه المجاهيل مخاطرين بأموالهم وبجهودهم في هذا السبيل. حتى شاءت إرادة الله أن تستوى السفينة على الجودي. وتصبح مدينة «بريدة» واجهة زراعية لا يغيب ذكرها في أي حديث عن الزراعة في المملكة.

وفي إطار الثروة الزراعية في بريدة فإن الدولة تحرص على تنمية الثروة الحيوانية، ومن أبرز المشروعات مشروع الأغنام في بريدة والذي قوامه خمسون ألف رأس من الأغنام النجدية، وقد باشر أصحابه العمل فيه.

وإلى جانب الثروة الحيوانية هناك مشروعات تربية الدواجن ومن أضخم المشروعات في المملكة مشروع جديد يقع شمال بريدة وطاقته الإنتاجية خمس وعشرون مليون دجاجة في السنة ومن المشروعات العملاقة الشركة العربية لتنمية الثروة الحيوانية، ومشروع إنتاج الأعلاف الخضراء وتصنيعها، والشركة العربية السعودية لإنتاج الدواجن.

ويجيء إنشاء البنك الزراعي عام ١٣٨٤هـ وتحويل الوحدة الزراعية إلى مديرية إيذانا ببدء مشوار زراعي يتخطى الاكتفاء الذاتي إلى غمر الأسواق العربية بالإنتاج المتنوع من الحبوب والألبان واللحوم وبعض الفواكه والخضروات والتمور وقد تم بالفعل

تصدير أنواع كثيرة من المحاصيل الزراعية ونظرا للقفزة الزراعية أنشىء معهد زراعي فني للتدريب والاعداد ثم أنشئت كلية للزراعة والطب البيطري تابعة لجامعة الملك سعود لتسهم في الاعداد الفني للشباب السعودي، كما أنشئت عام ١٤٠٣هـ شركة القصيم الزراعية ومنحت مساحات شاسعة وأعطيت تسهيلات كبيرة لتمكينها من الأداء السليم وبدأت برأس مال قدره خمسمائة مليون ريال وتركز على الاستثمار والتصنيع والتبريد والتسويق والاستيراد.



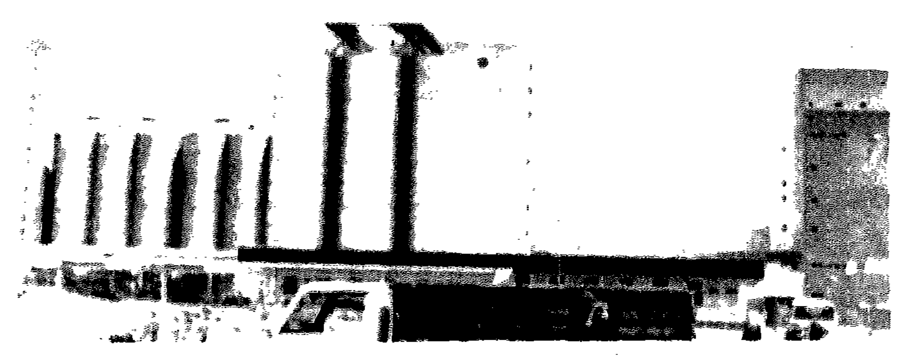
الخضرة والرمال ببريدة منظر يألفه الجميع

ومن الجوانب الملفتة للنظر القفزة المذهلة لإنتاج الحبوب في بريدة، واستخدام الرش المحوري في هذا الأمر الذي حول مؤشر الإنتاج إلى جهة الاكتفاء الذاتي وهو أمر لم يحسب له حساب خلال العشرين سنة القادمة، وتوجد في بريدة صوامع الغلال، ومطاحن الدقيق والأعلاف وهو مشروع اقتصادي عملاق يدل على أهمية القصيم



الماء يتدفق من أحد العيون ببريدة

الزراعية، وأهمية بريدة على وجه الخصوص وتستوعب الصوامع أكثر من أربعين ألف طن إبان إنشائها، وفي المطاحن يطحن قسم منها ويرحل قسم آخر، هذا بالاضافة إلى الصوامع الخاصة. وقد بدأ عمل هذا المشروع عام ١٣٩٨هـ وفي عام ١٤٠٣هـ تم افتتاح مجمع متكامل بطاقة ١٣٥ ألف طن ومطحنة بطاقة ٣٠٠ طن ومازال التطوير مستمرا.



منظر للصوامع في بريدة.

وإذا نظرنـا إلى تدافـع المـواطنـين وحرصهم على الزراعة في بريدة، بدت لنا مشروعـات زراعية عمـلاقـة من أبـرزها مزارع الأمراء ومزارع الراشد، والمشيقح، والسليمان، والسليم، والجماز، والراجحي وهذه المزارع تدار بالآلة وتحت إشراف خبراء غربيين وتمـول عن طريق القـروض الكبـيرة. ومحـاصيل هذه المشروعـات تغـطي الاستهلاك المحلي، والخليجي. وإذا أردنا أن نميز مساهمة القطاع الحكومي في ركاب الزراعة في بريدة فقط فإن ذلك يتجلى في حجم المبالغ التي صرفت على القروض خلال النصف الأول من عام ١٤٠١ ـ ١٤٠٢هـ إذ بلغت مائتين وثلاثة وثلاثين مليون ريال، وخلال عام ١٤٠٠ ـ ١٤٠١هـ بلغت مائتين وخمسة وسبعين مليون ريال لمدينة بريدة فقط وللقـروض الواقعة تحت صلاحية المكتب فيها. وتشمل قطاعات المتعاملين مع البنك الزراعي، تربية الدواجن، وإنتاج الألبان، والتسمين، والتخزين، والتصنيع الـزراعي، وإنشاء البيوت المحمية، وإنتاج القمح والأعلاف، والجمعيات التعاونية وكل هذه الفئات قائمة ومنتجة.



جانـب من مزارع الحمضيات. . . ببريدة

وتقوم الشئون الزراعية بتخطيط مساحات شاسعة من الأراضي البور الصالحة للزراعة وتوزيعها على المواطنين ومن ثم توجيههم إلى البنك للاقتراض. وقد تحولت ضواحي بريدة بهذه الخطة إلى واحة خضراء.

هذه الطفرة الزراعية جاءت في أعقاب جفاف وشح بالمياه الجوفية مع ملوحتها. وكان أهالي بريدة يجلبون مياه الشرب على الجمال والحمير والخيول من «حساوة الصقعا» ومن «الشميد» ومن «الغاف» و«العجيبة» و«التغيرة». وفي عام ١٣٧٦هـ مُدَّت مياه الشرب عن طريق الأنابيب وأقيم أول خزان شمال الجردة لا يزال قائما حتى الآن. ومع نمو المدينة نمت الحاجة وزادت المشروعات، وتم إنشاء محطة لتنقية مياه الشرب عام ١٣٩٧هـ يغذيها ١٨ بئرا وتضخ المياه المنقاة سبع مضخات وتبعا لذلك أقيم برج مياه بريدة كمعلم من معالم المدينة ويبلغ ارتفاعه ٧٤ مترا وقطره ٤٢ مترا ويقع إلى جانب المركز الحضاري ويتسع لأكثر من ثلاثمائة زائر في آن واحد إذ تبلغ مساحة الصالة ١٠٠٠م٢ تحلق حول البرج وتقوم الدولة بمد مياه البحر المحلاة إلى القصيم لسد حاجته والمشروع في اللمسات الأخيرة.

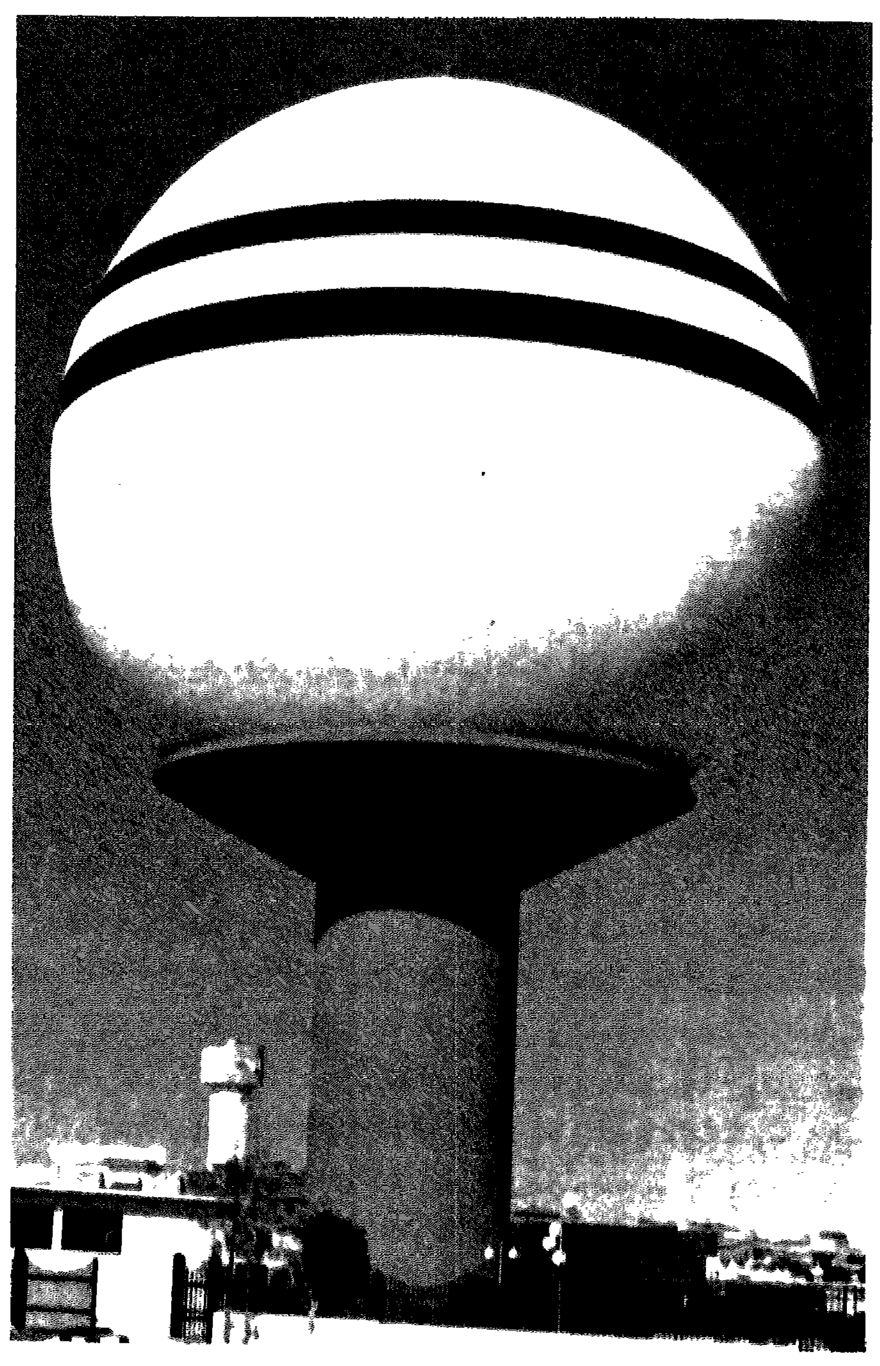
النخيل

لكل أمة منزع خاص تنفرد به بين الأمم في تفضيل نوع من المأكولات، أو المشروبات، أو الحيوانات.

فالجمل مثلا رمز من رموز الصحراء، وقطعة تراثية لرجالات الجزيرة العربية، لأنه رمز القوة والصبر والتحمل.

و«القهوة» مشروب الرجال يقدمها المضيف لضيفه مفتاحا لبدء حسن الضيافة.

و«النخلة» تلك الشجرة المباركة، رمز الوفاء، والشهامة، والديمومة يعتز بها أهل القصيم عامة، امتدادا لاعتزاز المملكة بها، ويعتز بها أهل بريدة على وجه الخصوص.



برج مياه بريدة

وقد ورد ذكرها في الشعر الجاهلي في معرض الافتخار بالكرم.

قال حاتم الطائي:

إذا آزروا بالشوك أعجاز نخلهم   رأيت عذاقي بينها لم تؤزر
فمن بينات اللؤم أخطار سدرة   على جذعها يحمينها لا تغير

وقد جاء ذكر النخيل في القرآن الكريم في عشرين موضعا في ست عشرة سورة.

ويوجد النخيل في أكثر من ست وعشرين دولة في العالم. وفي المملكة بلغ عدد النخيل في إحصاء سنة إحدى وتسعين حوالي سبعة ملايين نخلة موزعة على مناطق المملكة، ومن أشهر مناطق التمور القصيم، والشرقية، والمدينة المنورة، ففي الشرقية مثلا خمسة وثلاثون صنفا، وفي المدينة مائة وثمانية أصناف، وفي القصيم أنواع عدة، من أهمها:

١) سباكة: لون ثمرها أصفر، وتسمى في «عنيزة» نبتة راشد.
٢) سلجة: بكسر السين، بسرها أصفر توكل رطبا ولا تكنز.
٣) كويرية: صفراء كثيرة الدبس.
٤) لاحمية: من البواكر وتؤكل رطبا.
٥) حلوة: حمراء كبيرة الحجم تؤكل بسرا ولا تكنز.
٦) روثانة: صفراء مستديرة تؤكل بسرا ولا تكنز.
٧) برحية: صفراء مستديرة تشبه الروثانة وهي أفضل منها بكثير تؤكل بسرا ولا تكنز.
٨) ونانة: حمراء مستطيلة حلوة.
٩) قطارة: حمراء صغيرة الحجم تؤكل رطبا.
١٠) أم الخشب: حمراء مستطيلة تشبه الحلوة وتؤكل تمرا وتكنز بعرجونها.
١١) أم كبار: صفراء كبيرة بحجم الحلوة.
١٢) شقراء: حمراء أصغر من الحلوة تؤكل رطبا وتكنز.
١٣) رشودية: صفراء البسر والتمر، وتؤكل رطبا وتكنز عن طريق التعليق بالهواء.
١٤) مكتومية: صفراء مدورة أكبر من الروثانة ويستعمل منها العبيط لبعض الأكلات الشعبية.

١٥) نبتة العلي: حمراء تؤكل رطبا.
١٦) سكرية: صفراء مستدير وتؤكل رطبا، وتكنز، ويعبط منها وهي من أفضل الأنواع فقد بلغ ثمن الكيلو منها ثلاثة عشر ريالا.

هذا بعض ما يوجد في مزارع بريدة من أنواع التمور، وهي كثيرة لا تحصى وهناك أنواع أخرى توجد في مزارع القصيم لم نعرض لها مثل: «الحوشانة، الخضري، العيدية، السكرية الحمراء، العمرانية، الكسبة المسكانية، الخصية، الجوزة، النحو، المقفزية، نبة شهاء، المنيعية، البيدجانة، نبتة راشد».

ولكل هذه الأنواع عينات في مزارع القصيم، ولكل نوع شكل وطعم، وحالة يؤكل عليها ويستعمل فيها.

فمن التمر ما يحلو كنزه في الأواني والجصاص، ومنه ما يحلو تعليقه ليتعرض للهواء فيجف، ومنه ما يؤكل بسرا، أو رطبا، ومنه ما يعبط والحكم في ذلك للعادة وشائع الاستعمال ونظرا للفائض الانتاجي أقيم في بريدة مصنع للتمور.

هذا ويعتبر النخل من المصادر الغذائية المهمة، وقد اعتمد عليه النجديون في فترات الفقر، أو الجفاف، وبما يعطيه التمر من سعر حراري يساعد على العمل الشاق، أصبحت أهميته كبيرة خاصة وأن نجد في القديم من البلاد التي تصاب بالجفاف فيؤول ذلك بالسكان إلى الفقر ونقص الموارد. وهنا يكون للنخلة دور فعال في تخفيف حدة الضائقات الاقتصادية والغذائية. ولأهمية النخلة في المملكة تقوم الدولة بمنع القضاء عليها، ودفع مكافآت نقدية عن كل نخلة تغرس، كما أنها تشترى بثمن مغر إنتاج المزارع من التمور، وتصدره على شكل إعانات للدول الفقيرة لأن المستوى المعيشي للفرد السعودي لم يعد بحاجة ماسة إلى أكبر قدر من التمور، ولولا العادة، والإلف، وحب التراث لما كان للتمور تحت هذه الظروف شأن يذكر.

الخدمات العامة

الطرق والمواصلات

ترتبط بريدة بجميع مدن وقرى المملكة عبر خطوط اسفلتية عادية. وترتبط بالرياض بخط سريع على أحدث التصاميم ويبلغ طوله ٣١٧كم.

أما مطار بريدة فقد أنشيء عام ١٣٦٦هـ بأمر من الملك عبدالعزيز وتحول فيما بعد إلى مركزي ـ بالمليداء ـ عام ١٣٨٤هـ وتمت توسعته عام ١٤٠٥هـ لاستقبال كل أنواع الطائرات.

وأنشئت الخدمة البريدية منذ قيام المملكة ثم أنشئت المبرقات عام ١٣٥٠هـ ثم أنشيء الهاتف العادي عام ١٣٨٣هـ وبعد إنشاء محطة الأقمار الصناعية دخل نظام الهاتف الحديث وعممت الخدمة الهاتفية والتلكسية، والهاتف السيار وهاتف العملة في كل مدينة وقرية وهجرة.

الكهرباء والغاز

بدأت محاولات الإنارة في بريدة منذ أكثر من سبعين سنة بمحاولات فردية وفي عام ١٣٧٥هـ بدأت الإنارة بمجهودات فردية مثل كهرب «الطامي» وفي عام ١٣٨٨هـ تأسست شركة كهرباء بريدة ثم دخلت مع الشركة الموحدة لتقدم خدمات عامة وقوية ومنتظمة. أما الغاز فإن هناك أحدث محطة تضم أربعة خزانات سعة الواحد ألفي متر مكعب، وأربع دوائر إنتاج طاقة الدائرة ثمانمائة اسطوانة في الساعة وتغطي استهلاك القصيم وحائل.

الصحة

في عام ١٣٦٠هـ افتتح أول مستوصف في بريدة أما أول طبيب أقام في بريدة للعلاج ففي عام ١٣٤١هـ واسمه الدكتور ديم. وفي عام ١٣٧٩هـ تم افتتاح مستشفى بريدة المركزي. واستمر التوسع. وأخيرا تم افتتاح مستشفى مركزي كبير سعة ٥٧٤ سريرا وفيه كل الأقسام والتخصصات. بالاضافة إلى مستشفيات للأطفال والولادة والصدر والصحة النفسية، والمخدرات ووحدات ومراكز صحية، ومعاهد للتمريض، وأكثر من ثمانية مستوصفات أهلية وعشرين صيدلية، ووحدات صحية لتعليم البنين والبنات والجامعة والأمن العام. ومراكز الصحة البيئية والطب البيطري.

الخدمة الرياضية

في عام ١٣٧٤ بدأت الحركة الرياضية بظهور أول ناد رياضي. ثم أعقبه ثان في عام ١٣٧٦هـ وثالث في عام ١٣٧٧هـ واستمر ناديا: «الرائد... والتعاون» وزامنهما لجنة رياضية ثم مكتب لرعاية الشباب عام ١٣٨٧هـ تحول فيما بعد إلى مكتب رئيسي. وأنشئت «مدينة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الرياضية» مستوعبة لكل متطلبات الرياضة من ميادين، وصالات وقاعات، وساحات، وملاعب مغلقة، ومسابح، وحدائق للأطفال وبيت للشباب وإدارة. كذلك أنشأت وزارة المعارف مجمعا رياضيا حديثا.

الخدمة الاجتماعية

أول ما أنشىء في بريدة «دار للأيتام» ثم أعقب ذلك مؤسسات أخرى للضمان الاجتماعي، والرعاية، والتوجيه والملاحظة والعمل، ومكافحة التسول، والتنمية، والتدريب، والجمعيات.

وعلى العموم فأي مؤسسة حكومية تستفيد منها أي مدينة في المملكة يوجد في بريدة مماثل لها فمدينة بريدة مدينة آهلة بالسكان ومحتاجة إلى خدمات عامة. للتعليم، والزراعة، والصحة، والشئون الاجتماعية، والمواصلات، والداخلية، والتجارة، وغير ذلك ولسنا بصدد الاحصاء لأن ذلك يتجاوز بنا الحد المطلوب.

الفلكلور الشعبي

استخدم هذا المصطلح في مختلف بلدان العالم، وقد ابتدعه [تومز] في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهو من مشتقات اللغة الإنجليزية. مؤلف من كلمة [فـولك] بمعنى الناس، أو الشعب ومن كلمة [لور] أي الحكمة أو المعرفة ويقصد بذلك [فن الشعب] [وجوك تومز] أراد الدلالة على دراسة العادات والتقاليد والمعتقدات والمأثورات الشعبية وكانت دلالته مقتصرة على الفن نفسه، ثم توسعت فأصبح يشمل دراسة هذا الفن في اللغة الإنجليزية. أما في الألمانية فيسمى هذا الفن [فولكسكنده]. وفي فرنسـا، وإيطاليا سمـوه [ديمـولـوجيا] إلا أن كلمـة [فلكلور] طغت على جميع المصـطلحات الأخرى وقد اختلف العلماء حول مضامين هذا الفن حتى أنه داخل بعض المعارف والمصطلحات الأخرى.

وقـد حدده بعض المختصـين بالعناصر الشفهية، وبعضهم جعله جملة ثقافة الشعـوب، وقيل المـأثـورات الشعبية بجميع أشكالها ولعل من أبرز أنواع الفلكلور الشعبي. المـأثـورات القـديمـة حسية ومعنـوية، ومختلف الحكـايات، والقصص، والأمثـال، والألغـاز، والأدب الشعبي شعـره ونثـره، والطراز الشعبي في الملابس، والمساكن والأواني ومختلف الحرف والعمارة الشعبية، وكذلك الفنون من رقص وموسيقى ورسم، هذا بالإضافة إلى المعتقدات والشعائر الدينية. علما أن المسلمين لا يعدون عقيدتهم تراثا شعبيا بل عقيدة روحية سماوية تسمو عما يتصور علماء الاجتماع من غير المسلمين.

وقد بذلت جهود مشكورة في نطاق الفلكلور الشعبي العربي ومن رواد هذا الفن من الجانب الدراسي. الدكتور عبدالحميد مؤنس، والدكتور عبدالعزيز الأهواني، وأحمد رشدي صالح.

أما من حيث الجمع والتدوين فيعد محمود تيمور رائد هذا الفن.

وفي المملكة العربية السعودية نجد في مقدمة من عني بالجمع والدراسة الشيخ محمد بن ناصر العبودي، والأستاذ عبدالكريم الجهيمان، والمغربي، والبلادي، والسويدان والدكتور سعد الصويان والسويل.

وأخيرا أنشىء قطاع رسمي يتولى ذلك وينميه ويحافظ عليه وهو [جمعية الثقافة والفنون بالرياض] ثم فتح لهذه الجمعية فروع منها فرع القصيم هذا بالاضافة إلى الأقسام الاجتماعية والتراثية والآثار في الجامعات وغيرها.

ويمكن أن نتناول بعض المظاهر الفلكلورية التي يعتني بها أهالي بريدة ولا ينفردون فيها إذ أن المظاهر الشعبية في المملكة تكاد تكون متحدة والاختلاف بسيط لأن القطاع الاعلامي حرص على بث الفلكلور عبر الشاشة التلفزيونية وسنعطي لمحة سريعة عن كل أنواع الموروث الشعبي من أمثال وعادات وتقاليد وغير ذلك.

الأمثال العامية المتداولة في بريدة

الأمثال كما يقول العلامة حمد الجاسر «جزء حي من تاريخها» يعبر عن أحاسيسها ومشاعرها».

لقد قام العلامة محمد بن ناصر العبودي بعمل رائد جمع فيه الأمثال العامية في نجد. . . في خمسة مجلدات وبلغت الأمثال ثلاثة آلاف مثل تكاد تكون بكاملها متداولة في الشـارع الاجتماعي والأمثال خليط من المستخلصات التي تأتي على ألسنة التجار والمزارعين والصناع والبدو والحرفيين والنساء والعلماء والجهال ولهذا تحس أن كل مثل مرتبط بفئة من الناس ويحمل سماتها وخصائصها ومن الأمثال المستعملة ما يلي: [1]

- العذر ما يملا بطن الجائع
- ما يخدم بخيل
- حلام عنزة
- تيهة الحضري قصره
- نزلة الجرب على العرب
- البردان يجيب حطب
- قراد رمضاء
- مثل المسحاة مع البدو.
- البر ما فيه خبازات

---

١) سنورد الأمثال العامية بلهجتها العامية . . ولن نعمد إلى تفسيرها لأنها مفسرة ومشكولة في كتاب «الأمثال» للعبودي.

- ترضيه حزوم نجد
- قلايع ودران
- وش عود البقر رقي الطوايا
- بعه بكلب سرق أهله
- الحار عند التجار
- دقق الحساب تطول العشرة
- نصف المال نظرة
- التالي عند ربه غالي
- طار بين انثوين وذكر
- كَسْرَة جذمار
- الهون بركة
- يطرى له عند الصلاة ألف طاري
- واحد يشعب وواحد يطنقر
- قدر الشراكة ما يفوح
- من عرفك صغير حقرك كبير
- الخيرة خفية
- يد الله ومن تكون معه
- الأجر بصلاة الفجر
- الخطر على المخالف
- من حش عليك رو عليه
- إلى سلم راسك شرينالك طاقية
- مالك منه
- طايح فراشين
- معصود والماء بارد
- حطه على يمناك
- الحلال شعرة القلب
- القلوب شواهد

- يسرق الكحل من العين
- عين أم صالح
- براسه حب ما طحن
- وجه ودر
- حقك وما جاك
- يا مقيط دوك رشاك
- أشين من قولة جوكم
- يجوز العيد بلا حنا
- شهوة عجوز بالشتاء حصرمه
- يضرب بالرماد ولا يسمى
- مجنون وطق بعصا
- صاحب الحاجة أعمى
- غالي طلب رخيص
- حجام وقلاع ضروس
- من خاف سلم
- الحظ يمرض ولا يموت
- نفس قعره
- جاك يا مهنا ما تمنى
- العقرب لها رجل
- ما بالفار طاهر
- علم الشر مبروك
- شر وعيش مر
- رداة العقل مصيبة
- الجماعة في الخلوة
- ما لبّنت إرقه
- حرامك والجبل
- السلف تلف

- يا كل اللي يصبح
- يا طا السريح عناد
- طلع من تحت الرحل
- رحية ورد
- ترعى وهي رويبضة
- المداوي ما يأوي
- استر ما واجهت
- ما طاح راح
- الطنزة مد باليد
- الكذب زمالة ردية
- ما له ساس ولا رأس
- الملزق يطيح
- الي كذبت فسند
- المأخوذ يضحك
- القراد يثور الجمل
- ساني ومسني عليه

العرضة النجدية



العرضة النجدية .

أول ما يطالعنا من المردودات الشعبية أو الفن الشعبي الرقصة النجدية ، أو العرضة النجدية .

ولكل منطقة في أنحاء المملكة رقصة شعبية توارثوها كما يتوارثون العادات والتقاليد والشيم .

فهنـاك رقصة لغامد وزهران. ورقصة تسمى «الزيفة» لأهل الجنوب. وهناك [الروح، والزير] رقصات تعرف في المنطقة الغربية. وهناك [الليوه] في المنطقة الشرقية.

وكل هذه الرقصات عنوان الرجولة والشهامة والقوة، وعنوان السعادة، والإباء. ولا تتصـل بأي لون من رقصـات النساء القائمة على التكسر والأنوثة. وإلى جانب العرضة تتعدد وجوه الفنون الشعبية فيدخل فيها الزي، والأكلات وغير ذلك مما عرضنا له في المقدمة.

وأهالي بريدة يجيدون «العرضة النجدية» وهي ظاهرة بطولية معروفة، ولا يميلون إلى غيرهـا من الرقصات الشعبية الأخرى التي قد توجد في بعض مدن القصيم ولا تختلف عنها كثيرا.

ولهـذه العرضة مستلزمات شكلية كالملابس والسيوف والطبول وأنواع الملابس وأشكالها وأنواع الطبول. وللملابس إعداد خاص وزركشة خاصة ذات ألوان زاهية.

ويستخـدم في الإيقاع «الطبل» وهو من آلات القرع المدوي ذات الوجهين، وكان العرب يستعملونه في حروبهم وربما انتقلت هذه الآلة إلى أوربا في أثناء الحروب الصليبية أو عن طريق الأندلس، والطبل اسطواني الشكل، أجوف مشدود على وجهيه جلد رقيق يضرب عليه بعِصِيٍّ من الخشب. ودائر الطبل مصنوع من الخشب الخفيف اللين الذي يشتد بعد تطويعه، وكثيرا ما يزركش جلده كما يزخرفون «دائره» من الصوف الملون. ويستعمل الطبل في العرضة وقد يستعمل في العرضة أكثر من عشرين طبلا يصف أصحابها على شكلين بحيث يرافق الإيقاع حركة فنية تضفي على شكل العرضة لونا جميلا كما يصاحب الضرب حركة منسجمة مع الإيقاع، والصوت. وشكل العرضة أن يقف صفان متقابلان بينهما عشرة أمتار إلى خمسة عشر مترا وبينهما في الوسط أصحاب الـطبـول والـراقصون على الإيقاع الذين يحملون السيوف المصلتة، وحامل الراية. والملقن، وعادة يكون ناظم القصيدة يتنقل بين الصفين. يردد الصفان كلمات العرضة وغالبا ما تكون من الشعر الشعبي ويتمايلون تمايلا ينسجم مع الصوت ومع الإيقاع ويتحرك حامل الراية بخطوات وئيدة وكأنه يقود الراقصين.

والناظر إلى العرضة عندما توفق بهوات يتقنون فنها يأخذه الطرب والاستمتاع، ويعجب كيف تتلاحم الأصوات والحركات والموسيقى بطريقة فنية بديعة.

ومناسبات العرضة متعددة وتكون في الأعياد وعند قدوم زعيم أو أمير وعند الحروب والأفراح كالعرس وغيره وقد يمارسونها لمجرد الهواية.

وقد أدخلتها الأندية الرياضية ضمن الفنون التي يمارسونها.

وإلى جانب العرضة النجدية هناك ألعاب شعبية أخرى مثل:

- السامري: رقص شعبي يصحبه الغناء وهذا مشهور في مدينة عنيزة.
- الرد: فن شعري يعتمد على بديهة الشعراء ويصحبه رقص وترديد.
- غناء الحصاد: للتقوية على العمل أثناء حصاد العيش.
- غناء السواني: يردده الفلاح بالمنحاة أثناء استخراج الماء من البئر.
- غناء الطحن: خاص بالنساء.
- رقص النساء: رقص النساء في حفلات الزواج ويصحبه ضرب الدف.
- أغاني الترقيص: والنساء يرقصن أطفالهن ويرددن في ذلك أغان مشهورة.
- أغاني البناء: يقوم به عمال البناء ويرددون الأغاني أثناء عملهم.
- حداء الإبل: وهو قديم ومن حداءات الرسول ﷺ أنجشه.
- الهجيني: وهي قصائد تغنى على ظهور الإبل.

القصص والخرافات:

وهناك قصص خرافية وأسطورية عن الجن والوحوش والحيوانات تحدث بها العجائز والأمهات أطفالهن عند النوم ويسمونها «السباحين» مفردُها «سبحانية» ولعل ذلك مأخوذ من «السبح» وهو الإكثار من الكلام، وتدور هذه القصص حول القيم، وعاقبة الظلم. ويجعلون الأيتام والفقراء مجالا لهذه القصص فيعرضونهم معذبين مظلومين من بعض أوليائهم أو نساء آبائهم ثم تكون لهم العاقبة وتبلغ البراعة ببعض العجائز إبداع القصة وإجادة حبكها، ومنهن من تجذب الأطفال بحسن كلامها وسرعة

انفعالها مع المواقف، وقد تنظم الأبيات الشعبية في سياقها وقد تدخل مما تحفظه من الشعر العامي ما يناسب الموقف فتأتي القصة شيقة ممتعة مؤثرة، وللعجائز طرق بارعة في استخدام الحركات والأصوات وتقليد بعض الحيوانات، ويكثرن من ذكر الذئاب لاعتقادهن بعدم تأثير ذلك على نفسية الأطفال لأن الذئاب تأكل الجن والجن يخاف من الذئاب والأطفال ينشدون ويتفاعلون وقد يخافون ويبكون ولكنهم يحرصون على سماع القصص. وبعد ظهور الأجهزة الاعلامية انصرف الأطفال عن العجائز ومن أشهر القصص «أم العنزين» و«عنترة المغوار» و«بنت الأمير» وغيرها كثير.

عادات الأعياد

«دعهما يا أبابكر إن لكل قوم عيدا وإن عيدنا هذا اليوم». هكذا قال المصطفى عليه الصلاة والسلام عندما دخل صاحبه أبوبكر في بيت عائشة وعندها جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث. فنهرهما أبوبكر وقال: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ. كان ذلك يوم فطر أو أضحى.

على هذا الهدي كان للأعياد مظهرها المتميز بالفرح والابتهاج وخاصة عند الأطفال والشباب. أما الشباب ففي ليالي الأعياد يتجمعون زمرا في بيت من البيوت الخالية أو المأهولة يسمرون ويأكلون ويشربون وتسمى تلك العادة «تجديع» ويقال عنهم «مجدعين» وهو اصطلاح أطلق على هذه السهرات وأخذ من مادة «جدع» وهو القطع فكأن كل واحد يقتطع من ماله شيئا فيجمع ذلك ويكون تجديعا. والاستعمال عامي على ما أذكر ويسمى عند أهل الرس «الخشرة» ويحصل في ليالي العيد مناوشات كلامية... وشجار بين شباب الأحياء ولكنه لا يتجاوز ذلك إلى الاساءة. وقد يعتدي الأقوياء على الصغار فيأخذون أو يفسدون شيئا من مشترياتهم وتظل ليالي الأعياد صاخبة حية يشعر فيها الأطفال والشباب بسعادة لا يعدلها سعادة.

وأما الأطفال الصغار فيلبسون ثياب العيد الجديدة قبل العيد بيومين أو ثلاثة ويخرجون جماعات ووحدانا يطوفون على بيوت المعارف والجيران والأقارب لطلب الهدايا النقدية والعينية... وتسمى تلك الظاهرة المنقرضة «الحقاق» ولعله من طلب الحق... فكأن لهؤلاء الأطفال حقا عند الموسرين من الأقارب والجيران بمناسبة

العيد. وبعد صلاة العيد يقوم الجيران بوضع فرشهم في تقاطعات الأسواق أو في الساحات الواسعة ويخرجون طعامهم ويلتفون حوله ويتبادلون فيما بينهم الأطعمة ليذوق كل واحد ما قدمه جاره. وهي عادة انقرضت... ويقال إن بدايتها كانت في أعقاب مجاعة مرت في البلاد... فأمر الوالي بإخراج الأطعمة إلى الأسواق ليأكل القانع والمعتر وكأنه امتثال لأمر الرسول ﷺ بإغناء الفقراء عن السؤال في هذا اليوم ليفرغوا ويستقبلوا عيدهم بالفرح وهذه من حكم مشروعية زكاة الفطر والأضحية.

يلي ذلك رحلات الشباب إلى البر وتسمى «الكشتة» وقد تمارس الرقصات الشعبية كالعرضة النجدية أو غيرها من الفنون الشعبية. وفي الآونة الأخيرة تقوم البلدية بتجهيز ساحة واسعة مزودة بالفرش والأنوار والمقاعد ومكبرات الصوت. ويحضر هذه الحفلات الأمراء والكبراء والعامة وتمارس العرضات النجدية كما تمارس بعض الجاليات العربية عرض فنونها الشعبية.

وقد أقيم مركز حضاري ضخم أطلق عليه «مركز الملك خالد الحضاري» وصمم لإقامة الحفلات وعقد المؤتمرات وتنفيذ الندوات والمعارض وغيرها.

الزفـــة

من العـادات الشـائعـة المـألوفة في القديم القريب حفل ختم القرآن الكريم وتسمى هذه الحفلة [الزفة]، وذلك أن الطالب في الكتاب حينما يحفظ القرآن الكريم تلاوة على «المطوع» يعمل والده حفلة يحضرها زملاؤه بقيادة «المطوع» أو من ينوب عنه إذا كان كبير السن.

وتتم «الزفة» على النحو الآتي:

في الصباح الباكر يتجمع التلاميذ بملابسهم النظيفة في فناء المدرسة۔ وغالبا تكون في بيت المعلم. ثم ينطلقون وراء [المزفوف]. مشيا على الأقدام، أما المزفوف فله ثلاثة أحوال:

١) المشي أمامهم على قدميه.
٢) حمله على أكتاف أربعة من الطلبة الأشداء في صندوق كما يحمل الطائف العاجز.
٣) أن يركب حصانا ويتقدم الطلبة.

وفي أثناء ذلك يتلو ختمة القرآن الكريم والطلبة من خلفه يؤمنون، وقد يلتف معهم في أثناء مسيرتهم من يحب ذلك. وينتهي المسير إلى بيت والد المزفوف الذي زين بالفرش والمساند. ويتناولون القهوة والشاي. وفي الغالب يقدم لهم طعام الغداء.

كما يقدم للتلاميذ «النثار» ويشمل بعض الحلويات، والأقراص «والبقل» وغيره مما هو مطلوب للأطفال.

ثم يقدم والد الطفل مبلغا من المال للمطوع . وقد انقرضت هذه الظاهرة لانتهاء مهمة الكتاتيب .

وقامت الجمعيات الخيرية والمؤسسات في تعليم القرآن الكريم فجمعية البر الخيرية في بريدة لها أكثر من خمسين فرعا لتدريس القرآن للرجال والنساء وبلغ عدد المستفيدين والدارسين أكثر من ثلاثة آلاف من الأطفال والشباب والنساء. هذا بالإضافة إلى فتح مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية لتحفيظ القرآن تحت إشراف وزارة المعارف، ومن ثم اتجهت جامعة الإمام إلى هذا المشروع الإسلامي الخير فأشرفت على كل الجمعيات الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده .

حفل الختان

من المعتاد أن يختن الطفل في سنته الثانية أو الثالثة، والختان من سنن المصطفى ﷺ، و«الخاتن» للطفل عادة من يتولى [حلق] رؤوس رجال الأسرة وأقاربهم، فيكونون ثلاثة أو أربعة أو أقل من ذلك أو أكثر حسبما يكون للأسرة من حجم.

وطريقة الختان وما يتبعه من حفل ظاهرة اجتماعية متباينة، ففي كل عصر، وفي كل أمة شعائر مثيرة وملفتة للنظر، وما نسمعه عن طريقة الختان في الجنوب، أو في أفريقيا مثلا يعتبر من الأساطير الشعبية التي قد لا يصدقها رجل العصر.

على أن طريقة الختان وحفله في نجد، وفي بريدة بالذات عادي مألوف لا يمت إلى الأساطير بصلة ويسميه الأهالي «الطهار» من الطهارة لأنه تخلص من لحم زائد يجمع الأوساخ.

وطريقته أن يحضر «الخاتن» في الصباح الباكر ثم يحضر الطفل معصوب العين ويجلس فوق إناء مرتفع، ويستخدم الخاتن جلدة غليظة مفتوحة الوسط يدخل فيها اللحمة الزائدة ثم تقطع ويترك الطفل مشقوق الثوب. ثم يقدم والد الطفل للأقارب وجبة إفطار شهية فيها مختلف الأكلات الشعبية اللذيذة مثل «التاوه» و«الكليجاء» و«العقيل» ويكون يوم الختان يوما حافلا تجتمع فيه الأسرة في بيت واحد وينظر الأطفال إليه بشيء من الرهبة والرغبة.

أما اليوم فلم يعد لذلك أثر كل ما هنالك أن يحمل الطفل مع أمه وأبيه إلى المستشفى فيتم ذلك بطريقة عادية جدا.

الرحلات

ومن العادات السائدة، والهوايات المحببة الرحلات البرية وتعرف في أوساط العامة بـ [الكشتة]. وتعرف عند أهالي الجبل بـ [القيلة].

وقد يصاحبها القنص فيقوم جماعة من الأصدقاء برحلة في الصحراء معهم الطيور، وكلاب الصيد، والخيام فيقضون الأيام وينصبون الخيام ويحتطبون وفي ذلك متعة كبيرة لا تقابلها أي متعة أخرى.

وقد تتم الرحلة في اليوم الواحد، فيخرج الشباب أو الشيوخ إلى مزرعة قريبة. معهم طعامهم وشرابهم فيمضون بياض النهار في اللهو المباح والسياحة الشيقة. يوقدون النار، ويذبحون ذبيحتهم فيشتوون منها، ويمارسون مختلف الألعاب حسبما يميلون إليه.

ومع ما يواجهون في مثل هذه الرحلات الصحراوية من العناء والتعب يحسون بالمتعة؛ ويعودون إلى مدينتهم وكلهم حيوية ونشاط وتكثر الرحلة في أيام العطل الرسمية، وفي الشتاء والربيع، وقد تخرج الأسرة ومعها المواشي ويسمون هذه الرحلة [العزبة] فيمضون الشهر في خيامهم.

ومرد كل ذلك حب «البردى»[1] للصحراء وشظفها، وميله إلى الرحلة، والبداوة. ولهذا سميت بريدة على لسان الرحالة الغربيين [بدوية الصحراء].

١) النسبة الصحيحة لبريدة [بردى] لا [بريدي].

القنص

من الهوايات الشعبية الداخلة ضمن الفلكلور الشعبي، هواية «القنص». وأهل بريدة مشهورون بهذه الهواية محبون لها، ويعدونها من هوايات الرجال، ويعرفون لها مواسمها وآلاتها ويقضون الأيام على صهوات الجياد وظهور الإبل وعلى فاره السيارات وراء مراتع الضبا، ومجالي الأرانب ومدارج القطا ومسارح الحبارى يربون الصقور ويدربون الكلاب.

والطرد من الهوايات العربية المشهورة في الجاهلية والإسلام. يقول أمير الشعر العربي الملك الضليل [امرؤ القيس]:

وقد اغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا   كجلمود صخر حطه السيل من عل[1]

ولما كان «الطرد» من الهوايات المشهورة، والمحببة لأهالي بريدة كان من الحتم أن نلم ببعض آلاتها وبعض طرقها وأنواع الطيور والحيوان الصائدة والمصيدة، لأن بعض شبابنا المعاصر أخذته المدنية الحديثة بهادياتها وصخبها فكاد أو قارب نسيان مثل هذا التراث الشعبي المهم.

ومن أبرز الطيور المستخدمة في القنص الصقر وهو من الطيور الجوارح يستعمله النجديون في الصيد كغيرهم وربما يطلقون اسم الصقر على سائر الجوارح.

١) ديوان الشاعر. تحقيق: حسن السندوبي ص ٨٥.

وللصقر أسماء كثيرة كـ«الحر، والأجدل، والهيثم». وقد عرفه العرب أولا وعنهم أخـذه الفـرس. والصقـور أنـواع منهـا الكرنج، واليؤيؤ. ولما كان هذان النوعان لا يستعملان صرفنا النظر عنهما.

ويفضل العرب من الصقور ما كان أحمر اللون. والصقر من أثبت الجوارح جنانا وأقواها طيرانا وأحرصها على اتباع الطرائد.

ويصيد الصقر من الطيور الحباري. وذكرها «الخرب» والقطا والوز البري وقد يصيد النعام والغزلان بمساعدة الكلاب. ويصيد الأرانب.

ويستعمـل للصقـر «البرقع» لحفظه من الوثوب لغير حاجة ولكيلا ينطلق على الطريدة في ظروف غير ملائمة، والبرقع للصقر كالغمد للسيف والصقور «تقرنس» فإذا أخذ الصقر يلقي ريش جناحيه حتى يبقى على ثلاث ريشات في كل جناح كفه الصقار عن الصيد.

ولا يحتاج أثناء القرنسة إلى شيء غير التقوية وذلك بإطعامه اللحم في كل أسبوع ثلاثة أيام، فإذا نال الراحة سل ريش ذنبه ثم يتم بعد أربعين يوما.

وإذا خرج القوم للصيد يحملون الصقر معهم على أيديهم فإذا وصلوا إلى المكان نزعوا برقعه ومكنوه من إجالة نظره فيما حوله سواء كانوا على الدواب أو على السيارات أو على أقدامهم فإذا رأى طريدة أخذ يتفلت من يد صاحبه فإذا كانت الأرض سهلة والوقت مناسبا أرسله وتبعه بالمنظار [الدربيل]. ومن أمتع الساعات بل اللحظات تلك اللحظة التي ينطلق فيها الصقر وراء [حباري] أو [أرنب]. وكيف تبدو القوة والحذق والتصرف الرائع البديع.

كذلـك يستعمـل أهالي نجد «الكلاب الضواري» ويستعمل غيرهـم [الفهد] و[عناق الأرض].

ومن أشهر الكلاب المدربة [السلوقي] وهو نسبة إلى أرض [سلوق] باليمن أو إلى [سلقية] في بلاد الروم. وهناك نوع من الكلاب يسمى [زغارية].

ويمتاز السلوقي بأنه أجود شما، وأرهف حسا وأطول مناخر ويمتاز الكلب بالوفاء واليقظة وقوة الفك ورهافة الناب والسرعة والصبر على العدو وإذا عدا ضبع ويسط يديه ورجليه حتى يمس قفصه الأرض كما أنه ألوف سريع التعلم متفاهم مع الصقر وهو يعرف صاحبه وله فوق ذلك معرفة بطبائع الحيوانات التي يصيدها فيميز المعتل من الصحيح والعنز من التيس ومن سمات النجابة في الكلب: طول ما بين اليدين والرجلين، وقصر الظهر وعرضه وصغر الرأس، وطول العنق وغلظها والنجيب منها يكون مسترخي الأذنين نأتي سواد العين طويل مقدم الفم والأنف، واسع الشدقين بارز الجبهة عريضها قصير اليد طويل الرجلين.

والمختصون يعرفون النجيب منها ويتغالون في ثمنه ويباع الصقر والكلب النجيب بعشرات الآلاف ولا يعرف قيمة ذلك إلا من شاهد القنص على الطبيعة وذاق حلاوة الانتصار على الطريدة، أو تجرع مرارة خيبة الأمل ونام جائعا مع كلبه وطيره وقد ألفت الكتب في ذلك ولنا إلى ذلك عودة أرجو ألا تطول.

ومن أدوات الصيد الشعبية والتي يمارسها الأطفال والشباب في المزارع والأسواق:

١) الحقة: نوع من أنواع الفخاخ من المطاط تدفن في الأرض فإذا حركها الطائر فقعت به.

٢) المفقاس: من أنواع الفخاخ ويتخذ من عسب النخل.

٣) النباطة: نوع من النبال مكون من عود على هيئة الرقم ٧ يربط بطرفيه طرفا حبل مطاطي وينتهي طرفا الحبلين بجلدة يوضع فيها حجر صغير.

٤) المقلاع: نوع من أدوات النبل يتخذ عادة من الوبر.

٥) المزوى: لسحب الفراخ بأعشاشها في الشقوق والثقوب.

تربية الخيول

الخيل رمز القوة وعلامة الرجولة، ومناط الخير كما جاء في الأثر «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وتكررت في أحاديث الرسول ﷺ. وتغنى بها الشعراء ولا نعدو الصواب إذا قلنا إنها في سالف الزمان كالطائرات المقاتلة اليوم تحسم المواقف وترجح كفة المعركة. اعتنى بها الكتاب والمؤرخون وألفت الكتب في أوصافها وأنواعها وأمراضها وأصالتها وأعضائها فبلغت الكتب في ذلك المئات ومازالت حتى اليوم مكرمة معززة ونادي الفروسية بالرياض واحد من المعاقل التي تجد فيها الخيل بعض قيمتها.

وقد عرف أهالي بريدة قيمة الخيل وأثرها في السلم والحرب. فمازالوا يكرمونها ويحرصون على نمائها وهي من الهوايات المفضلة عندهم إذ لا تجد بستانا أو فناء بيت كبير إلا وفيه جواد أشقر أو أشهب صائم أو يستن ويعلك اللجام. قال الموسوعي عمر رضا كحالة «وكذلك يُعنى فيها بتربية الخيول». وفي كل يوم خميس بعد العصر يلتقي هواة تربية الخيول العربية في بريدة في ساحة منبسطة شرق «المتينيات» وغرب «مصنع الاسمنت» لترويض الخيل وركوبها والسباق عليها. قال المستر لويمر: «وتشتهر بريدة بسوق الخيل» وتوجد بعض الأسر تتاجر بالخيل وتجلبها من آفاق الجزيرة وتعرف سلالاتها الأصلية وعلامات النجابة فيها.

وعسى أن يهتم المسئولون بها فيسندون مهمة هذه الهواية إلى جهة رسمية ترعى شئونهم وتسهل أمورهم.

الألعاب الشعبية

ومن الفلكلور الشعبي، ألعاب الشباب التي انقرضت وحل مكانها ألعاب رياضية أخرى لا تبعد عنها في تحريك وتنشيط الجسم ومن الغريب أن بعض هذه الألعاب وردت في كتيب عن الألعاب الشعبية بمصر للمرحوم محمود تيمور مما يدل على تبادل مثل هذه الألعاب بين الشعوب.

ومما عرفناه في الماضي من الألعاب:

١) الطابة: وهي على شكل كرة صغيرة من الخرق يقذفها اللاعب ضربا براحة اليد.

٢) الحدلة: وهي قطعة من الخشب بطول عشرين سنتيمترا تضرب بقطة أخرى أطول منها.

٣) كلب رشيد: لعبة معروفة تستخدم فيها الأرجل في الدفاع عن الحوزة.

٤) العريسة: لعبة لتنمية الذكاء.

٥) أم خطوط: لعبة رياضية للمشي على رجل واحدة.

٦) الدنانة: تؤخذ من أطر «البراميل».

٧) لعب الكعابة: من عظمة كعب المواشي.

٨) الدوامة: من الخشب.

٩) المراما: ويستعملها الكبار في الصحراء لحذق التهديف.

١٠) المطارح... وهي تشبه المصارعة الحرة.

ومن الألعاب التي تعتمد على الذكاء، وتشبه لعب الشطرنج

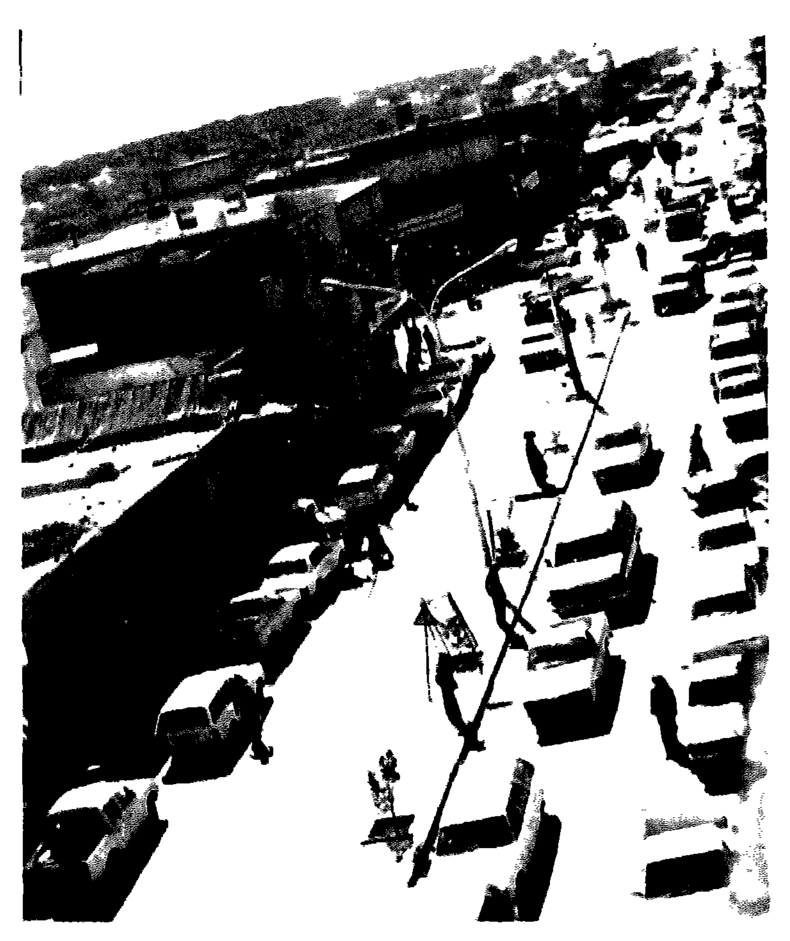
١١) «البية» و«أمّ تسع» ويستخدم لها النوى.

١٢) المسابق: وهو السباق على الأقدام.

١٣) شريخ الشرخ: تشبه الجمباز وتعتمد على القوة والخفة ينحني لاعب ويقفز من فوقه آخرون والعاجز ينحني وهكذا.

١٤) عظيم لاح: ويسمى «عظيم سرى»: عظم يقذف في الليل المقمر ويجري البحث عنه ومن وجده ينطلق به للبداية ويحاول الآخرون أخذه منه.

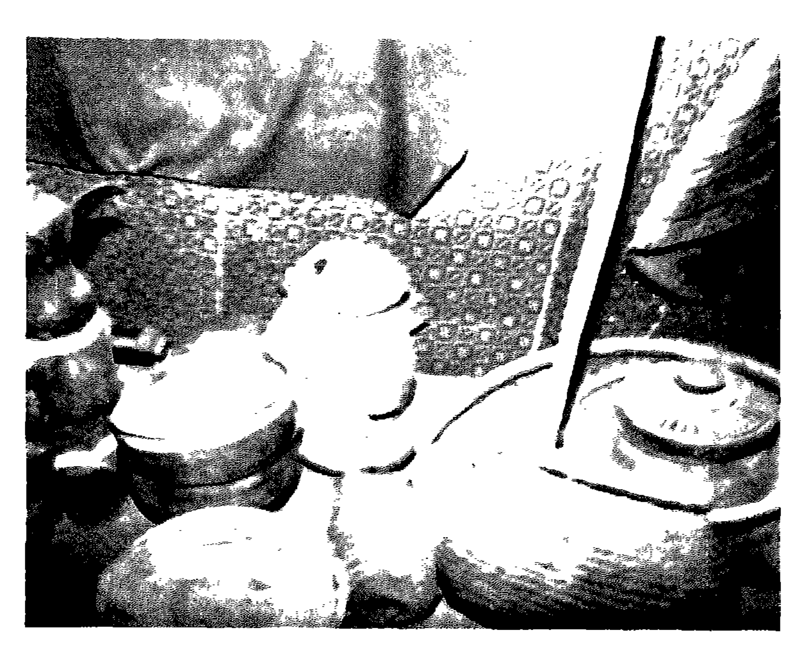
١٥) غليمط: تعصب عينا أحد اللاعبين ويبحث عن زملائه الصامتين وهناك ألعاب أخرى كثيرة منها «طاق طاقية» «الروجحان» «الطبة» «حمد حمد» «شق القنا» «جاكم سليل».



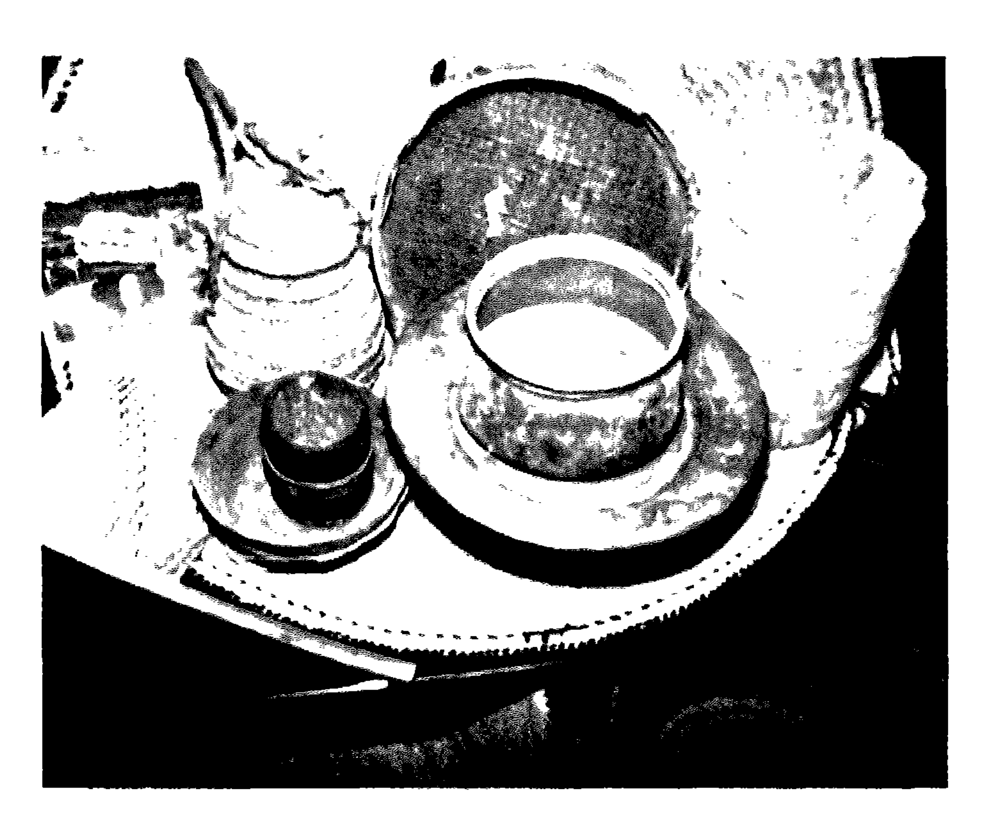
أحد الشوارع الحديثة في بريدة



◆ من الحرف اليدوية... صناعة الأواني النحاسية وبياض الأواني



◆ مجموعة من الأواني والأدوات المنزلية المصنوعة من خوص النخيل... إحدى الحرف اليدوية القديمة



مجموعة أخرى من حرف السفيف اليدوية المنقرضة

المأكولات والمشروبات

القصيم جزء من نجد في الكثير من أنواع الطعوم و «بريدة» جزء من القصيم، وفيها أكلات شعبية انقرضت أو كادت تنقرض الأمر الذي استدعى تدوين أهم الأكلات. وكم أتمنى لو فرغ لذلك بعض المختصين لتدوينه وشرح كل العادات والتقاليد الشعبية التي أخذت في الإنقراض ولم يبق لها أثر إلا على ألسنة الرواة.

فمن الأكلات الشعبية المعروفة:

أولا: أكلات تعمل من الدقيق «البر» وهي على نوعين:

- نوع من فصيلة «الخبز» وتشمل
  ا - القرصان.
  ب - المراصيع.
  جـ - المصابيب.

ويستخدم لهذه صفائح تحمى على النار تسمى «المقرصة». وقد يستعمل «التنور» وهو وسيلة قديمة جاء ذكره في القرآن الكريم، وهو عبارة عن حفرة بعمق المتر مبنية الجوانب توقد فيها النار حتى تلتهب جوانبها. فيوضع العجين بعد استدارته في الجانب.

و هناك نوع آخر من فصيلة الخبز لكنه يبتعد قليلا لزيادة مركباته عن الطحين فقط وهي :

ا ـ قرصان الكليجاء.

ب ـ قرصان العقيل.

جـ ـ التاوه.

ويدخل في تركيب هذه الأنواع ، السكر والليمون والبيض والتوابل كالهيل والزنجبيل. ويعمل العقيل على شكل ونوع قريب جدا من الكيك. أما الكليجاء فإنه نوع لا يشبهه شيء من المأكولات الحديثة ويعمل على التنور ويزخرف أعلاه. وكثيرا ما يستعمل في الحفلات كالزواج والختان وغيره. ويمكن حفظه لمدة أطول من غيره.

وهناك نوع رابع من فصيلة «الخبز» يستعمله المسافرون والرعاة وغيرهم، ويستقل الرجال بعمله ويعرف «بقرص الجمر» وهو عبارة عن عجينة تدفن بالرمل الملتهب حتى إذا نضجت استخرجت ونظفت وأضيف إليها السمن ثم قدمت للأكل.

هذه الأنواع السبعة [القرصان، المراصيع، المصابيب، الكليجاء، العقيل، التاوه وقرص الجمر] كلها تعتمد على دقيق البر، وهي من فصيلة الخبز، إلا أنها تختلف في شكلها ولونها ومركباتها وطريقة عملها. وتفصيل كل ذلك يوسع دائرة الموضوع ويخرج بنا عن الإيجاز الذي يفرضه مخطط البحث. وأهالي بريدة مازالوا يرتبطون من حين لآخر بهذه الأنواع من المأكولات الشعبية وكبار السن يفضلونها على غيرها، حتى أن المطاعم والمطابخ الشعبية تحاول تقديم مثل هذه الأكلات، وخاصة «القرصان» لإقبال الناس عليها إلا أن الفرق واضح بين «القرصان» والبديل المماثل «الصبيب».

ونوع من فصيلة «المطهيات» ويشمل:

ا ـ المرقوق.

ب ـ المطازيز.

وهذان النوعان على شكل دوائر تلقى في القدر من الدقيق فقط.

جـ ـ عصيد وقد يسمى «دويف».

والعصيد قد يكون غليظا من الذرة وقد يكون رقيقا من الدقيق. يوضع معه «خرمى» نوع من البقول ويوضع مع الأولى نوع من الشحوم يسمى «محزره» وهي قطع من الشحوم توضع في «كرشة» دون طبخ وتترك معرضة للهواء حتى تتفاعل.

ويدخل الدقيق في أكلتين شعبيتين:
- الحنيني، ويسميه الريحاني «الخبيص» وهو من القرصان والتمر والسمن مع الليمون يعجن جميعا.
- القشد: من التمر والسمن والدقيق وذلك بطهي التمر مع السمن والدقيق.

وهناك نوع ثالث قريب من «السليق» يسمى «الجريش». وكثيرا ما يستعمل في ولائم الزواج في القديم، وقد انقرض استعماله إلا على مستوى عائلي محدود.

وتتخذ من الشعير أكلة شعبية أخرى تسمى «السويق» وهي عبارة عن حمس الشعير عند بدوّ صلاحه ثم طحنه وإضافة سمن له. وقد يسف طحين الشعير وهو لذيذ ويضرب به مثل عامي فيقال عن الرجل اللجوج الملحاح «شرقة سويق» لأن الذي يشرق بالسويق يتعرض للخطر.

ويستخدم «القفر» المسمى بـ«القديد» وهو تشريح اللحم وملحه وتعريضه للهواء حتى يجف، ومن ثم استعماله في الأكلات الشعبية، وكذلك «الحميس» يصلى اللحم بشحمه ويجفف ويستعمل كالقديد. ولجوؤهم لذلك قبل وجود أجهزة التبريد.

ومعروف أن من الأكلات الشعبية في نجد «الجراد» يطبخ بالملح فيؤكل ناضجا وقد يجفف بعد طبخه فيؤكل يابسا وقد يضاف لبعض الأكلات الشعبية ومن مسمياته «دقوقة جراد» و«قصاميل جراد» وهي بقاياه.

ويأكل النجديون «الفقع» وهي الكمأة نوع من الفطريات وكذلك «العراجين» و«الطراثيث» ويأكلون من النباتات البرية «الحوّى» و«البسباس» و«الذعاليق».

القهوة العربية

والمعروف عند النجديين القهوة العربية وتستخدم لها الدلال النحاسية بأحجامها وأشكالها من عمانية وبغدادية وحساوية. وتمتاز بتصميمها الفريد وترتبط أدوات القهوة والشاي بالكرم والضيافة، وقد كان العرب يوقدون النار لإرشاد الضيوف.

وتعتبر القهوة العربية شراب العرب في البادية والحاضرة. وربما كان العرب أول من اكتشفوا خصائص القهوة. وللعرب طرق في حمسها وطحنها وصنعها وشربها. ومن عادتهم تقديم البخور والبخور قديم.

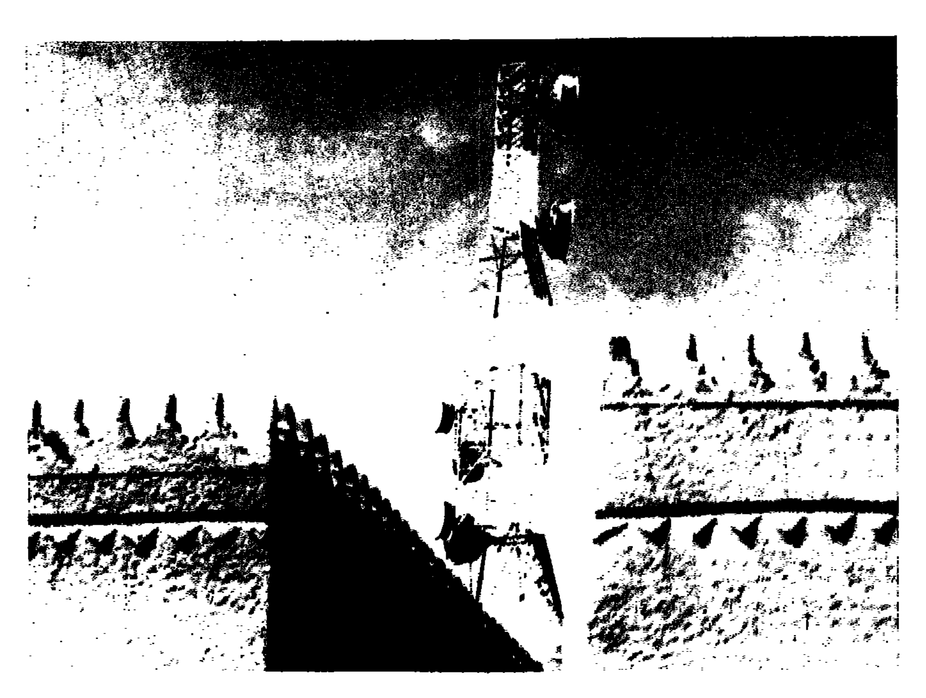
قال الشاعر:

لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

ومن العادة أن الشارب إذا اكتفى من الشرب هز الفنجال وقال «بس».

وتسمى الآلات «دلال» و«معاميل» منها اللقمة والمبهارة و«الملقمة» دلة كبيرة يغلي فيها الماء ثم يضاف إليه طحين البن الجديد وبعد غليه المدة الكافية يزاح عن النار ثم يصفى ثم يزل منها في المبهارة ويضاف الهيل أو القرنفل وقد يوضع الزعفران وتقدم للضيوف بالفناجيل. وللشعراء الشعبيين قصائد ممتعة بالقهوة.

وقد يقدم مع القهوة «الشاي» ويسمى الشاهي. وهو شائع ومعروف والأدوات المستعملة للقهوة «الفناجيل» و«البيالات» و«المحماسة» و«المصفاة» و«اللقمة» و«المبهارة» و«المبرد» و«النجر أو النقيرة» ثم «الطاحونة» و«العمود» و«المغرافة» و«الليفة» و«البيز» وهي أدوات انقرض بعضها.



تصميم المساكن في بريدة

ليس تصميم المساكن في بريدة بدعا من الأمر لكن القيمة التراثية تستدعي إعطاء لمحة عن ذلك، والمساكن في بريدة تقف على أشكال ثلاثة.

فهناك بيوت الطين، وهي أقدم ما عرف في نجد، وتبدو عالية مصمتة من كل الجهات، وقد تزخرف من خارجها وداخلها، وغالبها من دورين ويتكون البيت من قسم للرجـال، وقسم للنساء وكذلك المداخل. فمدخل الرجال يفضي إلى «دهليز» طويل ضيق معـوج مظلم القصـد منـه إبعاد الصوت، وعزله عن الشارع. وينتهي بمجلس الـرجال ويُسمى «القهوة» نسبة إلى ما يقدم فيه. و«القهوة» غالبا ما تكون مربعة أو مستطيلة يرتفع سقفها من ستة إلى ثمانية أمتار ولها نوافذ تسمى «مصاريع» أو «الفرج» وفتحة في السقف تسمى «كشافة» لامتصاص الدخان.

وقـد وصف مجالس أهـل القصيم، أمين الريحاني بقوله: «إن قاعة الاستقبال عندهم تدعى «القهوة» وهي عادة طويلة فسيحة عالية سقفها ـ هكذا ـ وقد سقف

بخشب الأثل على أعمدة من الحجر مطلية بالجص، لها نوافذ مزدوجة، والنافذة فوق الأخرى العالية للدخان يخرج منها والواطئة للهواء، وعلى جدرانها رسوم هندسية نقشت بالجص فوق أرضية من الطين. . . وفي الصدر مجوف مستطيل لا يزيد إذا كبر على الثلاثة الأذرع هو الموقد».

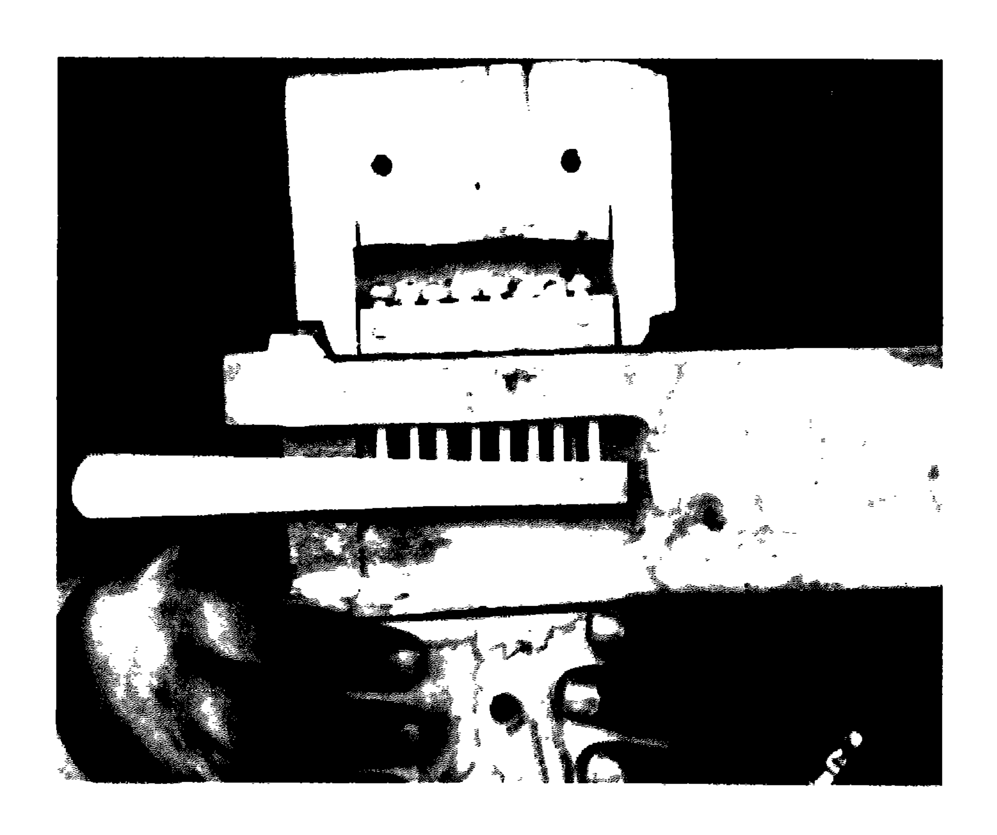
قلت: يسمى «وجار» وهي كلمة عربية، وهو ممتد على الأرض وفي نهايته «الكمار» وهو مبني من الجص المزخرف عن طريق الحفر وفيه رفوف متعددة ويجلس صاحب البيت خلف الوجار بمكان يسمى «المحكمة» من الأحكام - بضم الميم، وإسكان الحاء وضم الكاف وإشمام الميم. ومن خلفه مستودع الحطب ويسمى «الدكة» وعن شماله «النقيرة» صخرة مزخرفة في وسطها قعر يدق فيه بواسطة عمود من الحجر الأسود. وفي الوجار توقد النار وتوضع من حولها «الأباريق والدلال». وتذكى النار بـ«المنفاخ» وتحرك بـ«الملقاط». ويلتف الضيوف حول الوجار ليسهل تناول القهوة والاصطلاء صيفا وشتاء. وتفرش القهوة بقطع الزل الفاخر ويتكىء الضيوف على صناديق الخشب المكسوة بالديباج ويستعملون المساند المحشوة بالطرف، وإذا كثر الضيوف قام وسطهم من يدير القهوة، وغالبا ما يوجد داخل المجلس، مخزن يحفظ فيه رب الأسرة ما يزيد عن قوت اليوم والليلة مما هو في محيط احتياج الرجال.

ولمجلس الرجال «القهوة» مدخل ومخرج يفضي المخرج إلى فناء مسقوف يعرف بـ«القبة» الصالة. تحيط بها الغرف وتسمى «الصفاف» واحدتها «صفة» وتكون لأغراض النوم والادخار وفي غرفة الادخار «الجصة، والصوبة» لحفظ التمر و«الحوض» لحفظ الحبوب، وقد تكون فيها «الرحاء» لطحن الدقيق، وهناك فناء يسمى الحوش، فيه «الحسو» قليب صغير وبجانبه «اللزاء» و«القرو» لاستخراج الماء للوضوء وحضيرة للبقر، والحمام، ومجمع النفايات ومخزن للحطب وأماكن للحيوانات وأعلافها والمطبخ ويسمى الموقد. وفي الدور الثاني تعرف «الرواشن» و«المنافيح» و«الطاية».

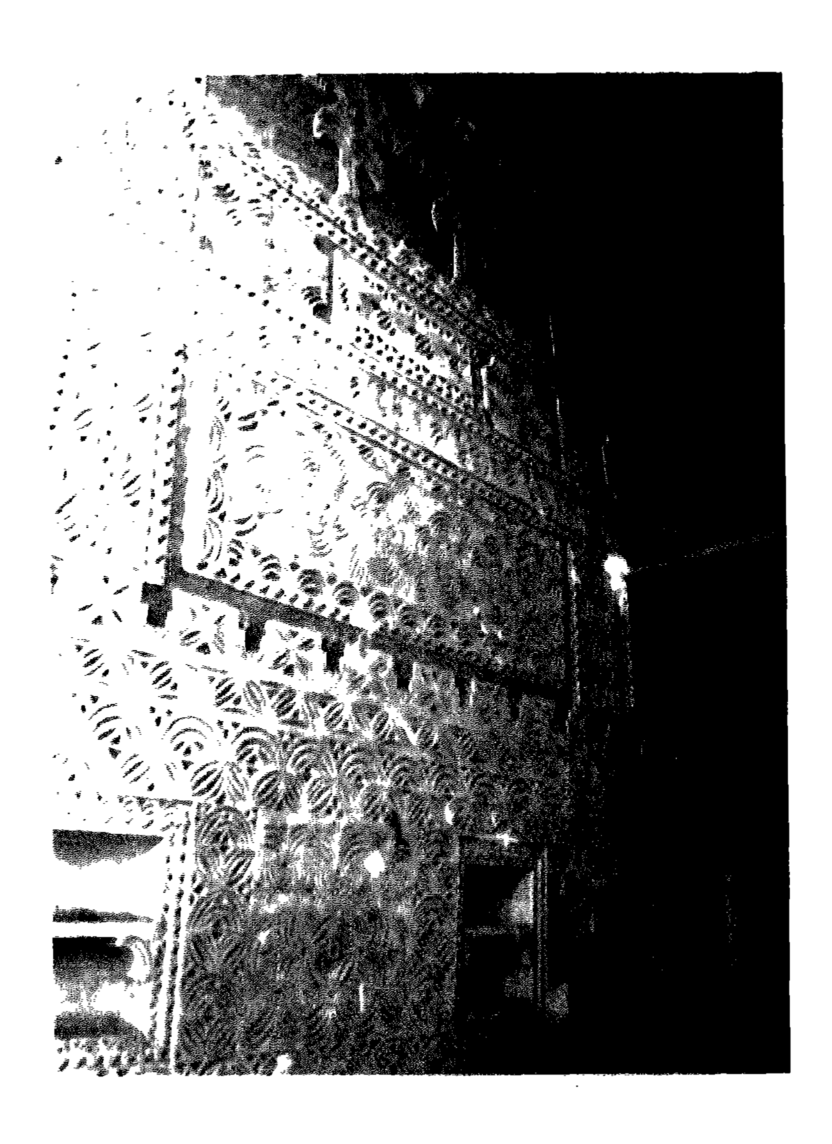
هذا النوع من البيوت أخذ طريقه ليكون في ذمة التاريخ ثم تأتي المساكن الأخرى «البيوت الشعبية» بعد أن دخل الاسمنت في مواد البناء، وتختلف في تصممها عن بيوت الطين، فزاد فيها أماكن الأكل والنوافذ والأفنية الرجالية والنسائية.

ثم تأتي المساكن الحديثة «الفلل» فـ«القصور» وتلك معروفة مستعملة ولسنا بحاجة إلى الحديث عنها.

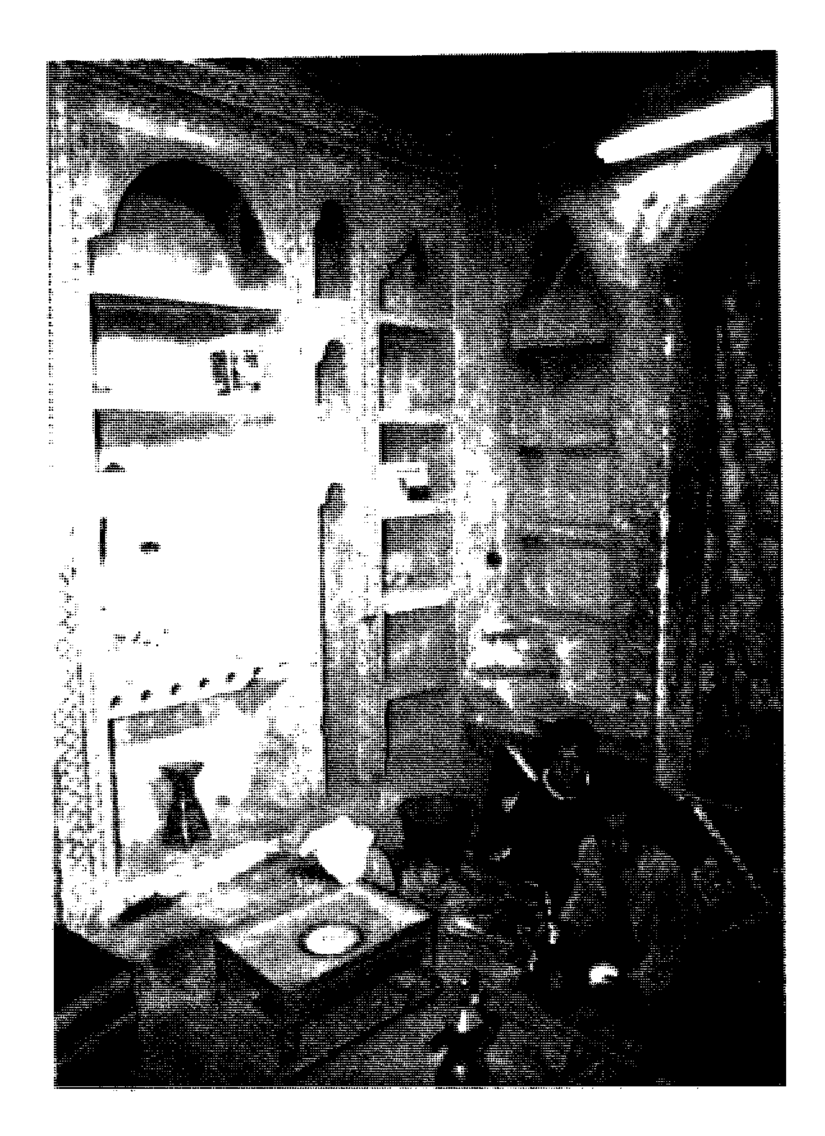
وقد ساهمت المنح وقروض البنك في تعجيل انقراض النوعين السابقين. وفي التوسع العمراني وقد دخلت الهندسة والتصاميم الحديثة في البناء الحديث الأمر الذي جعل حصر الأشكال الهندسية و«الديكور» أمرا صعبا.



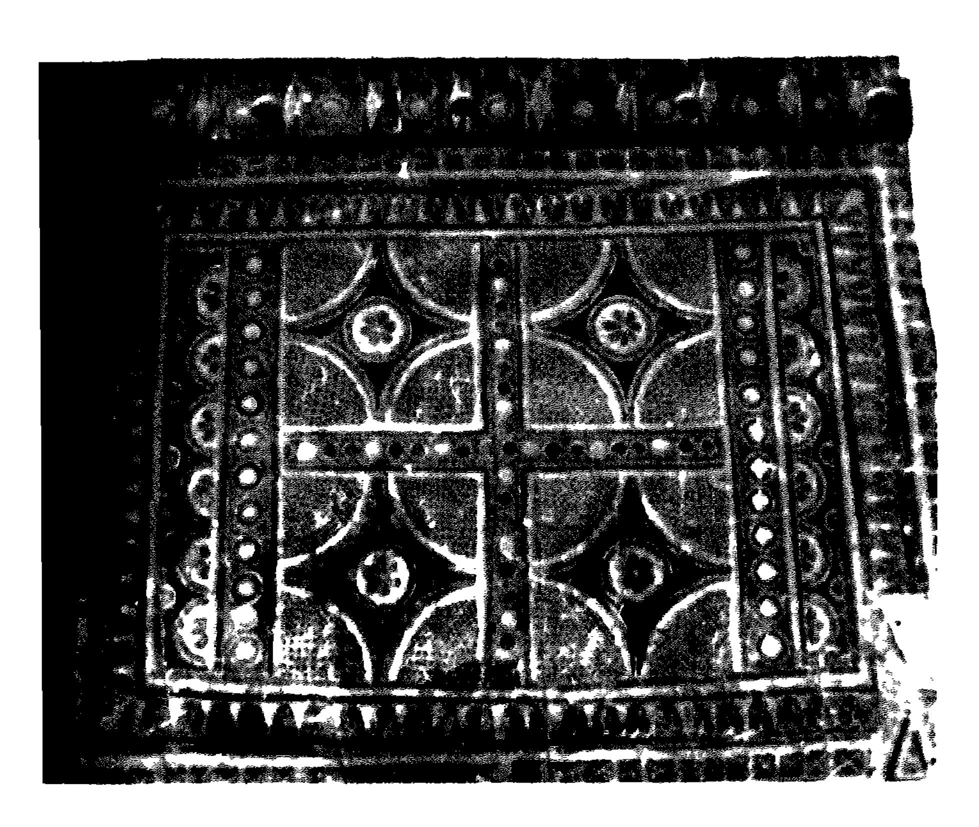
«مجرَى» قفل خشبي للأبواب الخارجية الخشبية القديمة



الحفر بالجص أسلوب من أساليب زخرفة المجالس «مجالس الاستقبال» بالمنازل القديمة



«كمار» من الجص مصمم بشكل هندسي على الوجار لأواني القهوة العربية



طريقة زخرفة الأبواب الخشبية الداخلية . حفر على الخشب ورسوم زخرفية بالإضافة إلى الألوان

حفل الزفاف

قبل أن أكتب عن هذه الظاهرة قرأت كتابا عن شعائر الزواج في العالم. وكيف تتم طريقة التزاوج فأخذتني الدهشة كيف يتباين الناس هذاالتباين في هذه الظاهرة ثم كيف يقبل بعضهم ما يترتب على ذلك من مشكلات وآلام لا يستدعيها موقف سعيد كمناسبة الزواج.

كان حفل الزفاف في الماضي القريب عبارة عن زف العريس إلى زوجته في بيت وليها، عبر مظاهر الفرح، والطبول التي تحييها النساء امتثالا للسنة النبوية. ومن الغد يقيم والد العـروس حفل عشاء بعد العصر وتبقى العروس في بيت أهلها أسبوعا كاملا، ثم ترحل إلى بيت زوجها في حفل بهيج تحييه النساء المرافقات، يلي ذلك وجبة عشاء من الغـد على غرار وليمـة الأب، وغالبا ما تنحر الجزور. وهناك أشياء عينية تقدم للعريس من أهله ومنه و«بياعه» وتسمى في الرياض «ربعية».

وفي الحاضر، تقلصت بعض المظاهر، وحلت مكانها مظاهر أخرى، منها عدم الإقامة في بيت أهل الزوجة سوى ليلة واحدة أو بعض ليلة، وتقديم الأكل أو المرطبات في الليلة نفسها، و«تشريع العروسين» أمام حفل النساء على منصة والإطالة في حفل الزفاف. والملاحظ أن ملامح شعائر الزواج وعاداته تتغير بسرعة لا يمكن للراصد متابعتها.

وعلى أية حال فإن الكثير من هذه العادات تختلف مع الوضع الاقتصادي الأمر الذي دفع الدعاة إلى اعتبار المهور، وحفلات الزواج من المشكلات الخطيرة التي يجب الوقوف أمام سلبياتها.

الخـــاتمة

أحسب أنني بعد لم أنته لكنني آمل أن يبدأ الآخرون من حيث توقفت ليكون الأداء مستمرا، والوفاء للوطن مبادرا لا مطال فيه.

هناك ثغرات كثيرة كان بالإمكان تلافيها لو كان هناك فسحة من الوقت، أو على الأقل تلافي بعضها لأن عمل ابن آدم يأخذه النقص من كل جانب، ويأبى الله إلا أن يتم كتابه لتبقى كل الكتب بعده وقبله ناقصة، ورحم الله الإمام الشافعي حين صرف النظر عن تكرار المراجعة لما يكتب لأنه في كل مراجعة يعدل ويبدل.

تكون هذه الثغرات إيجابيه متى استطاع القارىء الكريم معالجتها بروح مخلصة وصادقة، ووجه الكاتب إليها دونما عج أو ثج.

والرئاسة العامة لرعاية الشباب بمشروعها هذا تود - وهذا ما لمسته - أن يكون عملها من أجل المواطن خدمة وفاعلية. والمشروع في بدايته ويعقب هذا الكتيب عشرات الكتب عن مدن أخرى في أنحاء مملكتنا مترامية الأطراف.

ويتفضل القارىء لو زودها تباعا بالملاحظات والتوجيهات والاقتراحات ليكون كل كتاب أفضل من سابقه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قائمة المراجع

١ ـ معجم بلاد القصيم: للأستاذ محمد بن ناصر العبودي.
٢ ـ تذكرة أولى النهى: للشيخ ابراهيم بن عبدالمحسن العبيد.
٣ ـ لمحات عن القصيم: للأستاذين صالح بن سليمان الوشمي وحسن بن فهد الهويمل.
٤ ـ علماء نجد: للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام.
٥ ـ روضة الناظر عن مآثر علماء نجد: للشيخ محمد بن عثمان القاضي.
٦ ـ مشاهير علماء نجد: للشيخ عبدالرحمن بن عبدالطيف آل الشيخ.
٧ ـ صحيح الأخبار: للشيخ محمد بن بليهد.
٨ ـ ملوك العرب: لأمين الريحاني.
٩ ـ بلاد العرب للأصفهاني: تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي.
١٠ ـ الأمثال العامية في نجد: للشيخ مححمد بن ناصر العبودي.
١١ ـ العقيلات: للأستاذ إبراهيم المسلم.
١٢ ـ تاريخ ابن بشر
١٣ ـ تاريخ ابن غنام
١٤ ـ تاريخ ابن عيسى
١٥ ـ تاريخ ابن ربيعة
١٦ ـ بريدة: للأستاذ محمد بن صالح الربدي.
١٧ ـ بريدة: للأستاذ إبراهيم بن عبدالعزيز المعارك.
١٨ ـ جزيرة العرب في القرن العشرين: لحافظ وهبة.

١٩ ـ علماء القصيم: للشيخ صالح بن سليمان العمري.
٢٠ ـ أخبار ما يلتقط من شعر النبط: للأستاذ عبدالله الحاتم.

هذا بالإضـافـة إلى كتب المـوسـوعـات والمعاجم ودواوين الشعراء والصحف والمجلات وغيرها مما لا يستدعي الأمر ذكرها.

الفهرس

● ● ●

متابعة: وإشراف: محمـد القشعمـي